٢٣

علــوم اللغــة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتـــاب دورى

المجلد السادس | العدد الثالث | ٢٠٠٣





بسم الله الرحمن الرحيم

علــوم اللغــة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٦، ع٣ ، ٢٠٠٣

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيها مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد

٢٠ جنيها مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

الخصائص الصوتية لقبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها من خلال القراءات القرآنية

د. قبارى محمد شحاتة

كلية الالسن - قسم اللغة العربية

جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعتبر البحث فى اللهجات وبيان أسباب نشأتها والعلاقة بينهما وبين الفصحى ودراسة ظواهرها المختلفة... الخ، من مباحث فقه اللغة Philology وجدير بالذكر هنا أن العلماء القدامى لم يولوا هذه اللهجات اهتماماً كبيراً من الرصد والتحليل والدرس، وصرفوا هممهم إلى دراسة العربية الفصحى، خدمة للقرآن الكريم .

والبحث فى اللهجات ورصد ظواهرها المختلفة فى غاية الأهمية، حيث يمكن بذلك إلقاء الضوء على كثير من الظواهر التى وصفها اللغويون القدامى بالشذوذ، وكثير منها قد يكون له أصل فى هذه اللهجات، وبالبحث والتمحيص يمكن اعتبارها بداية لظاهرة لغوية معينة، وهذا يدخل فى إطار علم اللغة التاريخى Historical Linguistics من هنا تأتى قيمة دراسة اللهجات، إذ يمكن الاستعانة بها فى التأريخ لكثير مما وسم بالشذوذ فى تراثنا اللغوى.

وجدير بالذكر هنا أن دراسة القراءات القرآنية لا تقل أهمية عن دراسة اللهجات، إذ كثير منها يسير وفق ما عليه اللهجات العربية المختلفة، وعلى هذا يمكن اعتبارها رصداً حياً ودقيقاً لكثير من الظواهر اللغوية لهذه اللهجات.

ومن منطلق أهمية دراسة اللهجات والوقوف على خصائصها المختلفة ومدى صلتها بالفصحى يأتى هذا البحث الذى يتناول بالدراسة والتحليل الخصائص الصوتية للهجات قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها من خلال القراءات القرآنية. والقبائل التى شملتها الدراسة ثمانية، هى: تميم وقيس وأسد وربيعة وعقيل وكلب (من قبائل وسط الجزيرة العربية) وبكر وبهراء (من القبائل الشرقية).

وقد رصدت هذه الخصائص من خلال مطالعة القراءات القرآنية التى وافقت لغات هذه القبائل، واعتمدت فى ذلك على معجم القراءات[1]. وكان عدد الخصائص الصوتية التى رصدتها خمسة وعشرين يمكن ذكرها على النحو التالى:

١ ـ كسر حروف المضارعة.

٢ ـ حذف حركة الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية.

---

(١) معجم القراءات من تأليف العالم الجليل الدكتور/ عبداللطيف الخطيب، وتقديم العلامة الفاضل الدكتور/ سعد عبدالعزيز مصلوح، يقع فى أحد عشر مجلداً، ونشرته دار سعد الدين بدمشق بالجمهورية العربية السورية عام ٢٠٠٢م.

وقد جمع فيه مؤلفه جميع القراءات المتواترة والآحاد والشاذة، وكان عمدته فى ذلك البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، جعله أساساً لمادة المعجم، وقابل ما جاء فيه من قراءات بما ذكر فى كتب القراءات والتفسير وإعراب القرآن والمعاجم اللغوية وغير ذلك، فكانت مادته عزيزة جمعت بين القراءات والنحو والصرف واللغة، كما لم يفت المؤلف الجليل فى هذا المعجم أن ينبه على ما وافق من القراءات لغات القبائل العربية. والمؤلف ليس ناقلاً من الكتب والمراجع التى اعتمد عليها فى مادته، بل بصماته ظاهرة فى تخريج تلك القراءات وتوجيهها وتحليلها، واختيار ما يراه مناسباً مع التعليل لاختياره.

٣ ـ كسر فاء فعيل إتباعاً للعين إذا كانت من حروف الحلق.

٤ ـ إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة سابقة.

٥ ـ إتباع حركة واو العطف وفائه لحركة الهمزة فى (إنّ).

٦ ـ إتباع حركة هاء التنبيه لحركة (أىُّ) و(أيَّةُ) فى أيُّها وأيَّتُها.

٧ ـ إتباع حركة حرف الإعراب لحركة ما ليس حرف إعراب، والعكس.

٨ ـ إشمام الصاد زاياً

٩ ـ الإحالة

١٠ ـ المحافظة على الهمزة.

١١ ـ المعاقبة بين الكسرة والضمة.

١٢ ـ إشمام حركة الفاء من الماض الأجوف المبنى للمجهول الضم.

١٣ ـ إدغام العين فى اللام فى حالتى الجزم والأمر.

١٤ ـ حذف فاء المثال الذى على وزن (افتعل).

١٥ ـ حذف إحدى الياءين من الفعل (استحيا يستحيى).

١٦ ـ إبدال السين صاداً.

١٧ ـ إبدال السين زاياً.

١٨ ـ إبدال الثاء فاء.

١٩ ـ إبدال كاف المؤنث شيناً.

٢٠ ـ إبدال العين حاء.

٢١ ـ إيثار القاف على الكاف.

٢٢ ـ تحريك ميم الضمير (هم) بالضمة إذا التقى ساكناً

٢٣ ـ إثبات ألف (أنا) قبل همزة القطع والضمير (هو).

٢٤ ـ همز واو المد المسبوقة بضمة.

٢٥ ـ قلب القاف والميم إلى موضع العين (قلب مكانى).

وقد سلكت فى هذه الدراسة المنهج ا لتالى:

١ ـ أشرت فى بداية كل خاصية من هذه الخصائص الصوتية إلى القبيلة أو القبائل التى تنسب إليها تلك الخاصية، وذلك من خلال ما ورد فى القراءات القرآنية.

٢ ـ أوردت ما ذكر عن كل ظاهرة فى كتب التراث الصرفىّ.

٣ ـ أتبعت ذلك بالتحليل والتعليق وإبداء الرأى يساندنى فى ذلك علم الأصوات الحديث، أو المقارنة باللغات السامية، أو الاستعانة بآراء علماء اللغة المحدثين.

٤ ـ أوردت فى النهاية ما جاء من القراءات القرآنية دليلاً على كل خاصية منسوباً إلى القبيلة أو القبائل المعنية التى أشرت إليها فى البداية.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أمرين:

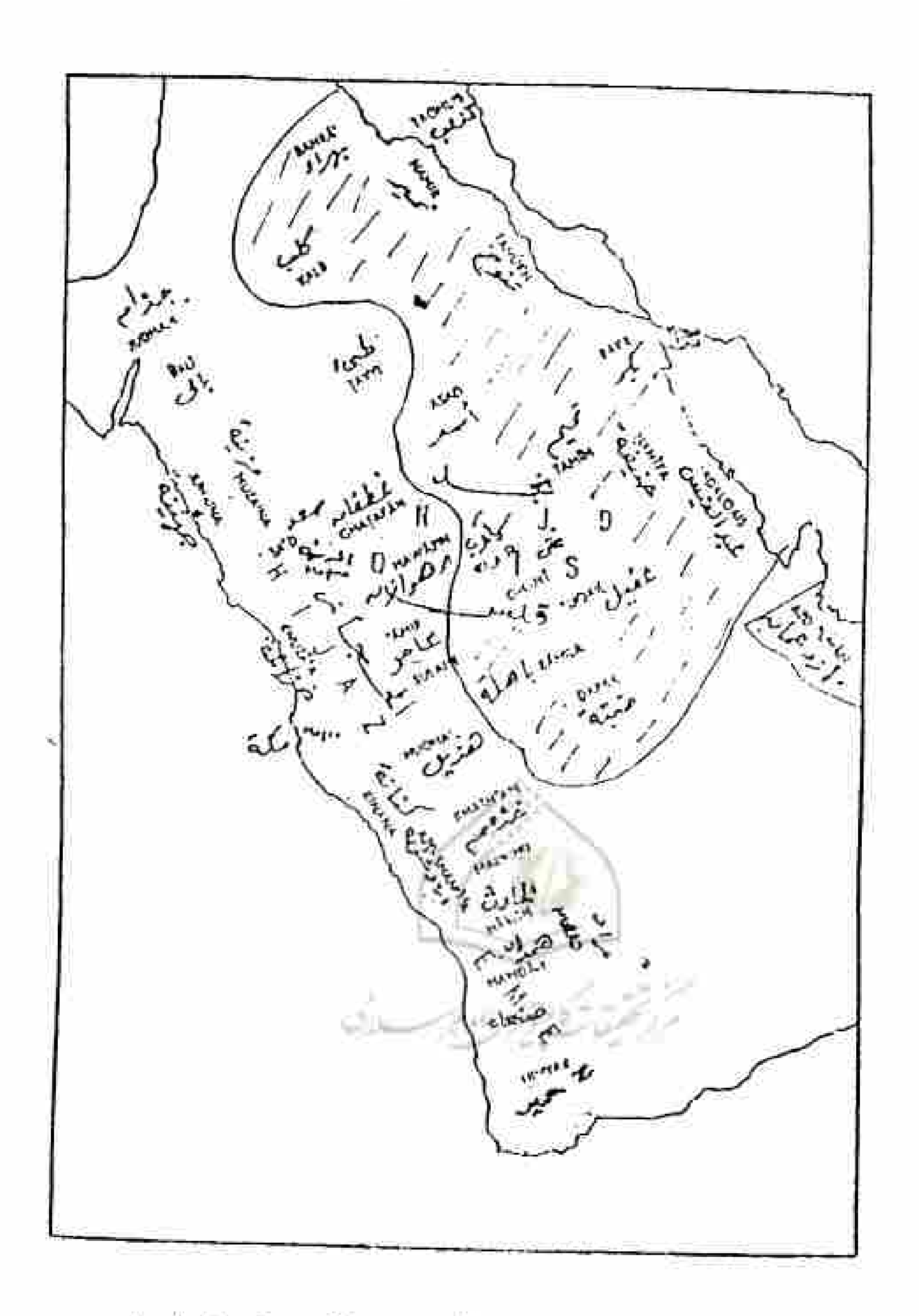
أولهما: جدول يلخص القبائل الثماني وتوزيع الخصائص السابقة عليها، والملاحظات على هذا الجدول.

وثانيهما: ذكر أهم النتائج التى توصلت إليها.

وأخيراً ذكرت قائمة المراجع التى اعتمدت عليها.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير،

دكتور/ قبارى محمد شحاتة



خريطة توزيع قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها

المصدر: اللهجات العربية الغربية القديمة صـ ٥

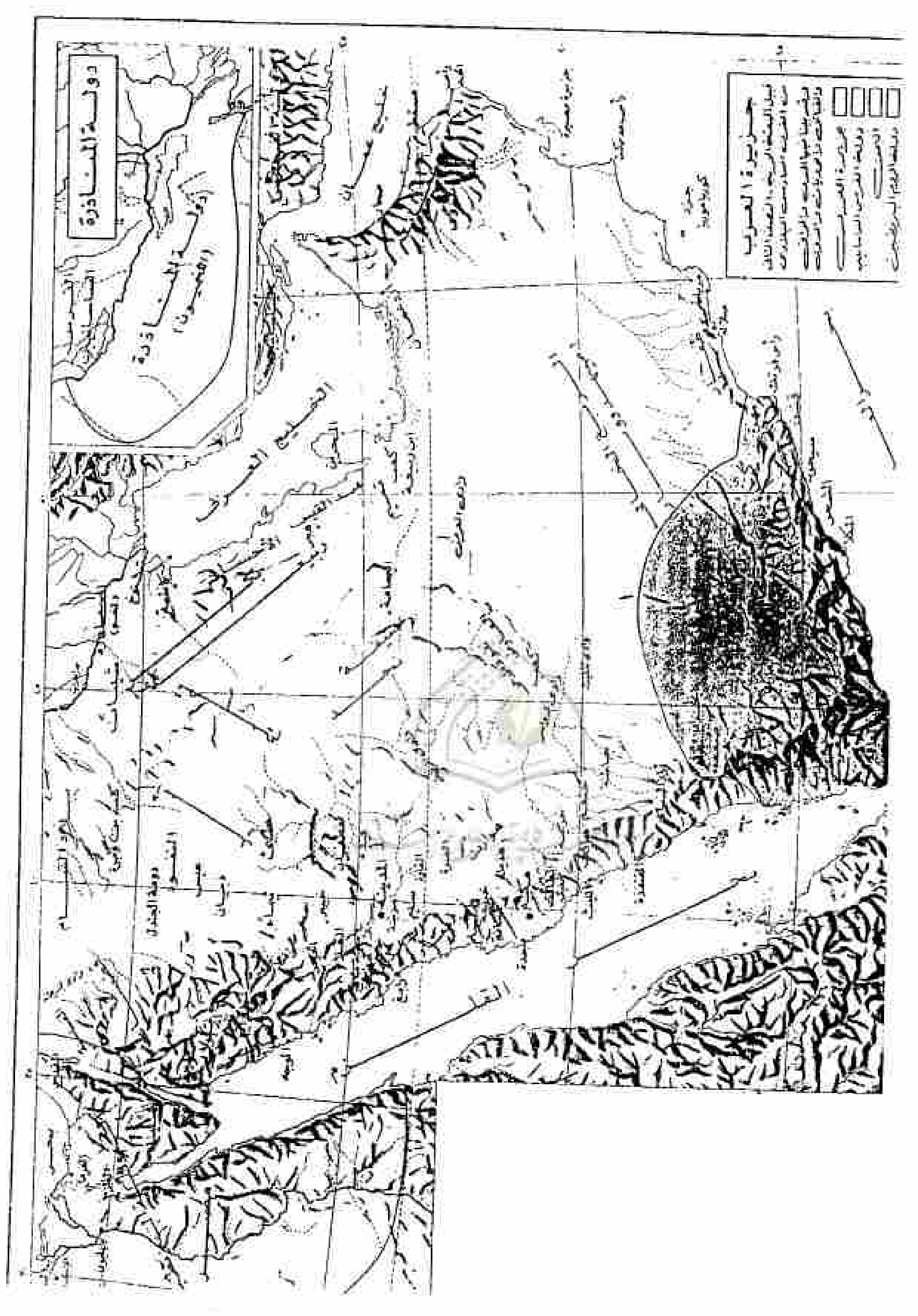
ملاحظة: يلاحظ فى هذه الخريطة عدم الإشارة إلى موقع قبيلة ربيعة ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع إلى كثرة مواطنهم فى الجزيرة العربية، فبنو ربيعة من نزار قد أجمع النسابون أنهم وبنى مضر من صفوة العدنانيين من ولد إسماعيل، وأن مسكنهم فى بداية نشأتهم كان إلى جوار

الحرم وتهامة فى الحجاز مع بقية إخوانهم من لد نزار، غير أنهم بعد حربهم مع قضاعة قد انتقلوا إلى مواطن كثيرة فى الجزيرة العربية وغيرها، فمنهم من انتقل إلى نجد، ونواحى البحرين، وهجر وحتى الكسور الواقعة فى الجزيرة، والسواد فى العراق، وتركيا وتسمى حتى الآن (ديار بنى بكر)(١).

وبناء على هذا يمكن أن يكون موطنهم فى الجزيرة العربية فى وسطها، أى فى نجد، وقد أشرت إلى ذلك فى ثنايا البحث وفى الجدول الذى أثبته فى الخاتمة.

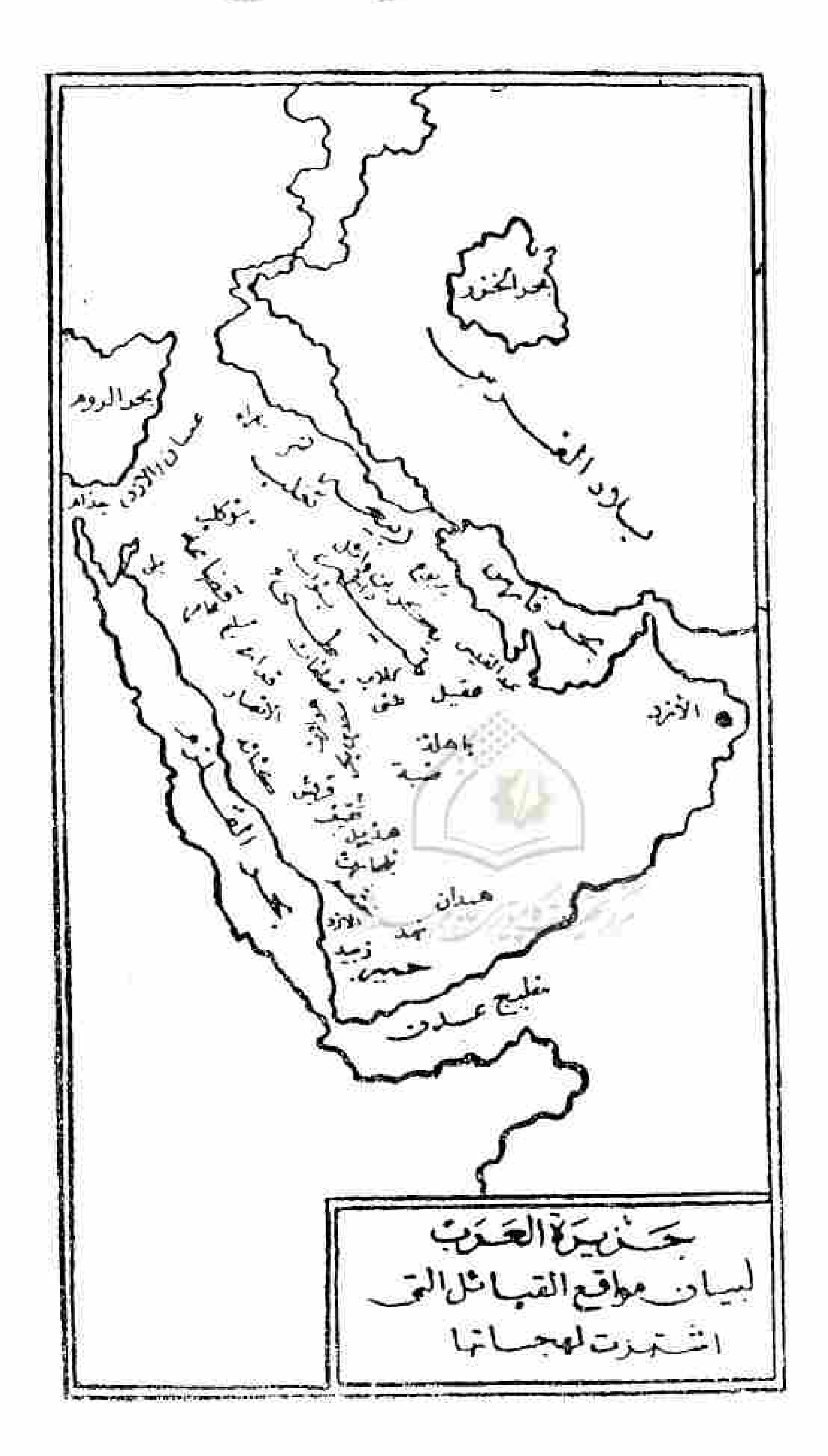
وفى الخريطتين التاليتين يبدو منهما أنها فى الشرق من الجزيرة العربية.

(١) راجع موسوعة القبائل العربية ٣٤ ـ ٣٥



خريطة رقم (٣)

المصدر: أطلس تاريخ الإسلام صـ ٣٥



المصدر : في اللهجات العربية صـ ٣٥

١ ـ كسر حروف المضارعة

حركة حروف المضارعة فى الفصحى حركتان: الفتحة والضمة.

فالفتحة فى الأفعال الثلاثية المجردة، نحو: كتب يَكتب، وأمَر يأمر، وعدَّ يعُدُّ، ووعد يعِد، وقام يقوم، وسعى يسعى. وكذلك فى الأفعال الثلاثية المزيدة بغير همزة القطع، مثل: انطلق ينطلق واستغفر يستغفر، وتقاتل يتقاتل.

والضمة فى الأفعال الثلاثية المزيدة بهمزة القطع، مثل: أكرم يُكرم، وأعلم يُعلم. وفى الأفعال الرباعية المجردة، مثل: دحرج يُدحرج.

وما عليه الفصحى عليه كذلك بعض اللهجات العربية الغربية، مثل: لهجات الحجاز وأعجاز هوازن وأزد السراة وبعض أجزاء هُذَيْل[١].

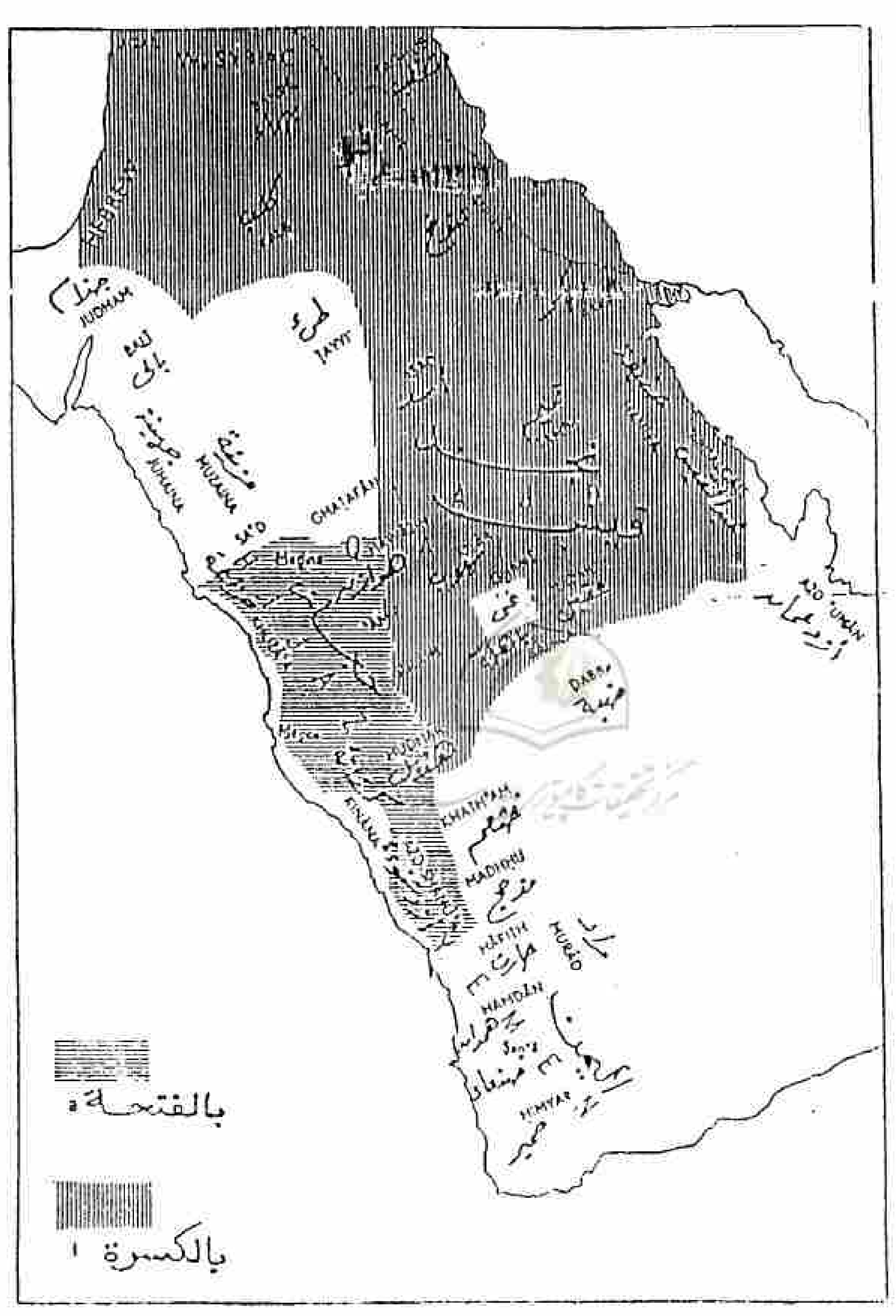
أما لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها، من أمثال: قيس وتميم وأسد وربيعة، فإنها تكسر حروف المضارعة، ويشاركها فى ذلك قليل من غربى الجزيرة العربية، من أمثال: بعض هذيل وبعض هوازن[٢].

والخريطة التالية تبين القبائل التى كانت تكسر حروف المضارعة وتفتحها وهى مأخوذة من كتاب (اللهجات العربية الغربية القديمة صـ١١٥).

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة ١١٤.

(٢) السابق ومعجم القراءات ٨/٥١٥.



٦ - حركة حرف المضارعة

وظاهرة كسر حروف المضارعة تعرف فى فقه اللغة بظاهرة التلتلة وتُنسب إلى قبيلة بهراء من قبائل شرقى الجزيرة العربية، فيقال: (تلتلة بهراء)[1] وقد أشار إلى ذلك ابن جنى وغيره. يقول ابن جنى:

«أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن قراءة عليه عن أبى العباس أحمد ابن يحيى، أحسبه أنا عن الأصمعي، قال: ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة. فأما عنعنة تميم فإن تميماً تقول فى موضع (أنّ): (عنّ)

أعنْ تغنّتْ على ساقٍ مطوّقةٌ ورقاءُ تدعو هديلاً فوق أعوادِ.

وتقول: ظننت عنّ عبدالله قائم. قال: وسمعت ابن هرمة يُنشدها رون:

وأما تلتلة بهراء فإنها تقول: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون، بكسر أوائل الحروف. انقضت الحكاية[2]».

والتلتلة تكون بكسر جميع حروف المضارعة ما عدا الياء فإنها تفتح لأن الكسرة تستثقل عليها. يقول سيبويه: «وجميع هذا إذا قلت فيه يفعل فأدخلت الياء فتحت، وذلك أنهم كرهوا الكسرة فى الياء حيث لم يخافوا انتقاض معنى، فيحتمل ذلك، كما يكرهون الياءات والواوات مع الياء وأشباه ذلك»[3].

---

(١) بهراء قبيلة فى قضاعة، وكانت مساكنهم متاخمة لحدود الشام. فى اللهجات العربية ١٣٩.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٢٢٩ ـ ٢٣٠ وانظر الخصائص ٢/١٠ ـ ١١

(٣) الكتاب ٤/١١٠ وانظر كذلك شرح المفصل ١٠/٦٣ ومعجم القراءات ٨/١١٥

أما بعض بنى كلب فإنهم يكسرون جميع الحروف بما فيها الياء[1].
وقيل بهراء كذلك[2]، وبنو أسد[3].

وقد ذكر العلماء القدامى الأبنية التى تكسر فيها حروف المضارعة، وهى على النحو التالى:

١ـ الفعل الثلاثى الذى على وزن: فَعِل يفعَل (السالم والمضعف والأجوف والناقص) مثل:

ـ أنت تِعْلَمُ، وأنا إِعْلَمُ، وهى تِعْلَمُ، وهو يعلَمُ، ونحن نِعلَمُ.

ـ عَضِضْتُنَّ فأنتن تِعْضَضْنَ، وأنت تِعَضِّين.

ـ خلنا فنحن نِخالُ.

ـ شَقِيتَ فأنت تِشْقَى، وخَشِيتُ فأنا إِخْشَى[4].

وقد رودت على ذلك شواهد شعرية، منها:

ـ قول حكيم بن مُعَيَّة الربعى:

لو قُلتَ ما فى قومها لم تِيثَمِ　　　يفْضُلُها فى حسَبٍ ومِيسمِ

أراد (لم تِأثم) فخفف الهمزة، فصارت (لم تِيتَمِ).

ـ قول أعرابى من بنى عُقَيْل، فيما رواه ابن جنى:

فقومى هُمْ تميمٌ يا مُمارى　　　وجُوثةُ ما إِخافُ لهُمْ كثارًا

---

(١) شرح التصريف ١٩٦.

(٢) فى اللهجات العربية ١٣٩.

(٣) فصول فى فقه العربية ١٢٥.

(٤) الكتاب ٤/ ١١٠ وشرح التصريف ١٩٦ ـ ١٩٧.

بكسر همزة (إِخاف)

ـ قول المرَّار الأسدى، فيما رواه ابن الأنبارى:

قد تِعلم الخيلُ أياماً تطاعنُها من أىِّ شِنْشِنَةٍ أنت ابنُ منظورِ

بكسر تاء (تِعلم)[1].

ويرى سيبويه أن سبب الكسر يعود إلى أن من كسر أراد أن يدل على أن الفعل الماضى مكسور العين أو فى أوله همزة، يقول:

«فأما الذين كسروا حرف المضارعة فإنهم أرادوا أن يدلوا على أن الفعل الماضى مكسور العين أو فى أوله همزة، فلما أرادوا أن يدلوا على هذا لم يخلوا أن يكسروا حرف المضارعة أو فاء الفعل أو عينه أو لامه، ولم يجز أن يكسروا لامه؛ لأنه حرف الإعراب، ولو ألزموها الكسر لبطل أن يدخلها إعراب، ولم يجز أن يكسروا عينه؛ لأن بحركة العين يُفصل بين الأبنية من (يفعُل) و(يفعِل) و(يفعَل) لو ألزموها الكسر لبطل هذا الفرق، ولم يجز أن يكسروا فاء الفعل لئلا يتوالى فى اللفظ أربع حركات ليس بينها حاجز فى اللفظ ولا فى التقدير، فلم يبق إلا حرفُ المضارعة فكسروه»[2].

٢ ـ **المثال الواوى**: مثل: وجِع يوجَع، ووجِل يوجَلُ.

اللهجات التى تكسر حروف المضارعة على فريقين فى ذلك:

الفريق الأول: بنو أسد، وهؤلاء يكسرون جميع الحروف بما فيها الياء، فيقولون: وجِل ييجَلُ، ونيجَلُ[3].

---

(١) فصول فى فقه العربية ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) الكتاب ٤/ ١١٠.

(٣) شرح التصريف ١٩٧ ـ ١٩٨.

يفهم مما سبق أن الأصل: يِوْجَلُ، ونِوْجَلُ، ثم ماثلت الواو الساكنة الكسرة السابقة فقلبت ياء ليحدث الانسجام بين الكسرة والياء، ثم ماثلت الياء الكسرة فتحولت إلى كسرة قصيرة مثلها، ثم تحولتا إلى كسرة طويلة.

ى ــِ وج ـ َل ـُ/ ن ـِ وج ــَ ل ـُ > ى ـِ ى ج ـَ ل ـُ / ن ـِ ى ج ـَ ل ـُ > ى ـِ ــِ ج ـَ ل ـُ/ ن ـِ ــِ ج ــَ ل ــُ[1].

أما القدماء فيرون عكس ذلك، فالواو عندهم قد قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وأن الكسرة قد قويت على الواو ـ مع أن الحركة أضعف من الحرف ـ لأن الواو لما سكنت ضعفت فقويت عليها الكسرة[2].

أما سيبويه فيرى أن حرف المضارعة الياء قد كسر حتى تنقلب الواو ياء؛ لأنهم كرهوا اجتماع الواو مع الياء، يقول: «كأنه لما كره الياء مع الواو كسر الياء ليقلب الواو ياء لأنه قد علم أن الواو الساكنة إذا كانت قبلها كسرة صارت ياء»[3].

الفريق الثاني: غير بني أسد، وهم الذين يكسرون جميع حروف المضارعة ما عدا الياء. بعضهم يقول: (يَوْجَل)، بفتح الياء، وبعضهم يقول: (ياجَلُ) بقلب الواو ألفاً؛ لأن الواو الساكنة لا تقلب ألفاً إلا إذا تحركت وانفتح ما قبلها، وهنا قد تحرك ما قبلها فقط، وهؤلاء يقلبون الواو مع جميع حروف المضارعة ويفتحون ما قبلها فراراً من ثقل الواو إلى خفة الألف، فيقولون في غير الياء: أنا أجَلُ، ونحن ناجلُ، وأنت تاجلُ، وهو ياجَلُ[4].

---

(١) راجع قانون المماثلة فيما يشبه هذين المثالين في: مدخل في الصوتيات ١٨٣ ـ ١٨٤ ودراسات في علم أصوات العربية ١٩ و٢٣.

(٢) انظر في ذلك: سر الصناعة ٢/ ٢٣٤ وشرح التصريف ٣١٢.

(٣) الكتاب ٤/ ١١٢.

(٤) شرح التصريف ١٩٨.

وأرى أن الواو فيما سبق لم تقلب ألفاً، بل هذه الواو الساكنة مع الفتحة القصيرة التي قبلها شكلت معها صوتاً مركباً هو (ـَ و) الذي تحول إلى فتحة طويلة (ـَـَ).

ي ـَ وج ـَ ل ـُ > ي ـَـَ ج ـَ ل ـُ

٣ ـ **الأفعال الثلاثية المزيدة بهمزة وصل:** وقد كسروها تشبيهاً لها بالثلاثي الذي على وزن فعل يفعَل السابق. يقول سيبويه:

«اعلم أن كل شيء كانت ألفه موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف في فَعَلَ، فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء، وذلك لأنهم أرادوا أن يكسروا أوائل فَعَلَ، فلما أرادوا الأفعال المضارعة على هذا المعنى كسروا أوائلها كأنهم شبهوا هذا بذلك. وإنما منعهم أن يكسروا الثواني في باب فَعَلَ أنها لم تكن تَحَرَّكَ فوضعوا ذلك في الأوائل، ولم يكونوا ليكسروا الثالث فيلتبس يَفْعُلُ بيفعَلُ، وذلك قولك: استغفر فأنت تِستغفر، واحرنجم فأنت تِحرنجم، واغدودن فأنت تِغدودن، واقعنسس فأنا إِقعنسس»(١).

٤ ـ الأفعال الثلاثية المزيدة بتاء في أولها: أي مما جاء على أوزان: تفعَّلَ، وتفاعل، وتفعلَلَ، وقد حملوا ذلك على السابق الذي أوله همزة وصل لأنه أصله أن يكون مبدوءاً بهمزة وصل لما كانت التاء ساكنة، ثم لما حُركت التاء استخفافاً استغنى عن همزة الوصل. يقول سيبويه مواصلاً ما سبق:

« وكذلك كل شيء من تَفَعْلتَ أو تفاعلتَ أو تفعْللتُ، يجري هذا المجرى؛ لأنه كان عندهم في الأصل مما ينبغي أن تكون أوله ألف

---

(١) الكتاب ٤/١١٢.

موصولة؛ لأن معناه معنى الانفعال، وهو بمنزلة انفتح وانطلق، ولكنهم لم يستعملوه استخفافاً فى هذا القبيل. وقد يفعلون هذا فى أشياء كثيرة... والدليل على ذلك أنهم يفتحون الياءات فى يفعَل، ومثل ذلك قولهم: تَقِى الله رجلٌ، ثم قال: يتقى الله، أجروه على الأصل، وإن كانوا لم يستعملوا الألف حذفوها والحرف الذى بعدها»(١).

ويلاحظ من خلال ما سبق أن التمحل ظاهر فى تعليل الكسر فى حروف المضارعة، ولو أن هؤلاء العلماء كانوا على معرفة باللغات السامية لكان تعليلهم أكثر دقة. من هنا يرى بعض العلماء، وأوافقهم على ذلك، أن الكسر فى حروف المضارعة المنتشر فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها يعود إلى التأثر باللغات السامية: العبرية والآرامية الغربية، والأوجريتية، والحبشية، حيث تشيع فيها هذه الظاهرة(٢).

ومن الأمثلة على كسر حروف المضارعة فى اللغات السامية الفعل المضارع (يقتل) فهو فى الآرمية: yeqtul، وفى السريانية (من لهجات الآرامية) ܢܶܩܛܘܠ niqtol، وفى العبرية ؟ יִקְטֹל yiqtol، وفى الحبشية ይቅትል yeqtel (فى حالة النصب) و ይቀትል yeqatel (فى حالة الرفع)(٣).

ويرى رابين Rabin أن هذا التأثر بدأ أولاً بقضاعة ـ التى منها قبيلة بهراء ـ حيث كانت تجاور المناطق الكنعانية، ثم انتقل هذا التأثر إلى لهجات وسط الجزيرة وشرقيها(٤).

---

(١) الكتاب ١١٢/٤.

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة ١١٦ وبحوث ومقالات فى اللغة ٢٦٧ وفى اللهجات العربية ١٣٩.

(٣) فقه اللغات السامية ١٢٤.

(٤) اللهجات العربية الغربية القديمة ١١٦.

ولا تزال ظاهرة كسر حروف المضارعة منتشرة حتى الآن فى اللهجات العربية الحديثة؛ حيث نقول مثلاً (مين يِقرا ومين يسمع)[1].

وبمقارنة ما عليه الفصحى وما هو موجود فى اللهجات القديمة والحديثة واللغات السامية يمكن أن نقرر أن فتح حروف المضارعة فى العربية الفصحى، وهناك فى الفصحى بقايا من كسر حروف المضارعة، مما يدل على أنه كان من الظواهر الشائعة فيها، ثم صارت مفتوحة فيما بعد، وذلك فى الفعل المضارع (إخال) فى قول أبى ذؤيب:

فغيرتُ بعدهُمْ بعيشٍ ناصبٍ وإِخال أنك لاحق مُسْتَتْبَعْ

وقول زهير بن أبى سلمى:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سَيِّدٌ معَيونْ[2]

وقول العباس بن مرداس:

وما أردى وسوف إِخالُ أدرى أقَومٌ آلُ حِصنٍ أمْ نساءُ

ـ وفيما يلى استعراض ما ورد من القراءات القرآنية دليلاً على كسر حروف المضارعة عند قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها، مع ملاحظة أن مَنها ما ورد على وفق ما قرر القدماء من أبنية، ومنها ما ورد على غير ما قرروا:

١ ـ ما ورد من الثلاثى على زنة (فعل يفعل):

١ ـ أمِن يأمَن. قال تعالى: «قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف» يوسف/ ١١.

---

(١) بحوث ومقالات فى اللغة ٢٦٧.

(٢) السابق ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

«روى عن يحيى بن وثاب وأبى رُزَيْن والمطوعىّ (لا تِئْمَنَّا) بكسر أوله مع بقاء الهمزة، وهى لغة تميم»[1].

٢ ـ رَكِنَ (أو رَكَنَ) يركَنُ ـ مَسَّ يمسُّ. قال تعالى: ﴿ولا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ هود/٥٣.

«قرأ محبوب عن أبى عمرو ويحيى بن وثاب وقتادة وطلحة الأشهب: (ولا تِركنوا) بكسر التاء، وهى لغة تميم فى مضارع عَلِمَ غير الياء. وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة والأعمش وطلحة بن مصرف وحمزة فى رواية (فتِمَسّكم) بكسر التاء، وهى لغة تميم»[2].

٣ ـ يئس ييأس. قال تعالى: ﴿ولا تَيْأَسُوا من رَوْحِ اللهِ﴾ يوسف/٨٧.

«قرأ مجاهد والأعرج والمطوعى (ولا تِيْئَسوا) بكسر التاء وياء ساكنة بعدها همزة. وكسر أول المضارع لغة تميم وهذيل وقيس وأسد وبعض بنى كلب وربيعة»[3].

٤ ـ عَثِيَ يَعْثَى. قال تعالى: ﴿ولا تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة/٦٠

«قرأ الأعمش والمطوعى (ولا تِعْثَوا) بكسر التاء. وقالوا: هى لغة تميم»[4].

٥ ـ عَيِيَ يَعْيَى. قال تعالى: ﴿أو لم يروا أنّ الله الذي خلق السموات والأرض ولَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بقادرٍ علىٰ أن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ الأحقاف/٣٣.

---

(١) معجم القراءات ١٩٢/٤.
(٢) السابق ١٥٣/٤ ـ ١٥٤.
(٣) السابق ٣٢٧/٤.
(٤) السابق ١١٠/١.

«ذكر ابن خالويه أن الحسن قرأ (يِعَى) وأسد وربيعة ولغة هذيل، غير أنهم رأوا هذا الكسر فى غير الياء لئلا يجمعوا ثقيلين: الكسر والياء»[1].

ـ كما ورد فى القراءات أبنية على زنه فعل عى خلاف ما قرر القدماء، وذلك على النحو التالى:

١ ـ فَعَلَ يَفْعُل (فَرَغَ يفرُغ). قال تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقلان ﴾ الرحمن/ ٣١.

«قرأ أبو السَّمَّال وعيسى بن عمر الثقفى وأبو عمرو والمطوعى (سنفرغ) بكسر النون وفتح الراء... وقرأ أبو عمرو أيضاً (سِنَفْرِغ) بكسر النون والراء، وزعم أن تميماً تقول (نِعْلِم) كذا بكسر النون واللام»[2].

٢ ـ فَعَلَ يَفْعِلُ (ضَلَّ يَضِلُّ). قال تعالى: ﴿ قُلْ إن ضَلَلْتُ فإنَّما أضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ﴾ سبأ/ ٥٠.

«قرأ عبدالرحن المقرىء وابن وثّاب وأبو حيوة (إِضَلُّ) بكسر الهمزة وفتح الضاد من (ضَلِلْتُ أَضَلُّ) وهى لغة تميم وقيس وأسد وربيعة وهذيل»[3].

٣ ـ فَعَلَ يَفْعَلُ (نَصَحَ يَنْصَحُ)، قال تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رسالات ربي وأنصحُ لَكُمْ وأعلَمُ من الله ما لا تعلمُون ﴾ الأعراف/٦٢.

---

(١) السابق ٨/٥١٥.

(٢) السابق ٩/٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٣) السابق ٧/٣٩٥ ذكر صاحب معجم القراءات فى الصفحة نفسها أن اللغة الفصحى هى (ضَلَلتُ أضِل) وهى لغة نجد، وقرأ بها الجمهور (أضِل) ولغة الحجاز والعالية (ضلِلت أضَل) وبها قرأ الحسن ويحيى بن وثاب.

«قرأ يحيى بن وثاب وطلحة (وإنصح لكم) بكسر أوله»(١).

٢ ـ ما ورد من غير الثلاثى فى المبدوء بهمزة وصل:

١ ـ استفعَل يستفعِل (استعان يستعين)، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة/٥.

«قرأ عُبَيد بن عُمير الليثى وزرُّ بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والمطوعى والأعمش (نستعين) بكسر النون فى أوله. وهى لغة تميم وقيس وأسد وربيعة ولغة هذيل وبعض قريش»(٢).

٢ ـ افعَلَّ يفعلُّ (ابيَضَّ يبيضُّ ـ اسودَّ يسوَدُّ) قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ آل عمران/١٠٦.

«قرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلى وأبو نهيك وأبو عمران الجونى (تبيض وتسود) بكسر التاء فيهما. وهى لغة تميم وأسد»(٣).

---

(١) السابق ٨٦/٣.

(٢) السابق ١٦/١ وقرأ بكسر النون من (نعبد) زيد بن على ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير الليثى. السابق ١٥/١.

(٣) السابق ٥٥٣/١.

٢ ـ حذف حركة الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها، تميم وقيس، وأسد وبكر وربيعة، حذف حركة الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية تخفيفاً، أسماء كانت أو أفعالاً.

وقد أشار إلى ذلك علماء العربية القدامى، يقول سيبويه فى:

«هذا باب ما يسكن استخفافاً وهو فى الأصل؛ وذلك قولهم فى فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفى كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفى عَضُدٍ: عَضْدٌ، وفى الرَّجُلِ: رَجْلٌ، وفى كرم الرجل: كرم، وفى علم: علم. وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم، وقالوا فى مثل: «لم يحرم من فصد له» وقال أبو النجم:

لو عُصْرَ منه البانُ والمسكُ انْعَصَرْ

يريد: عُصِرَ»(١).

يفهم مما سبق أن الكلمات الثلاثية التى تحذف حركة الحرف الثانى منها تكون على الأوزان الآتية:

١ ـ **فَعِلٌ** فى الأسماء، كفَخِذ وكَبِد، فيصيران: فَخْذ وكَبْد. **وفَعِلَ** فى الأفعال، كعَلِمَ، فيصير: عَلْم. وعن سبب هذا التخفيف يقول سيبويه:

«وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل»(٢).

---

(١) الكتاب ٤/١١٣ ـ ١١٤ وانظر الخصائص ١/٧٥.

(٢) السابق ٤/١١٤.

٢ـ **فَعِلَ** في الأفعال، كقَصِدَ وعَصِرَ، فيصيران: قَصْدَ وعَصْرَ. ويقول سيبويه عن هذا التخفيف:

«وكرهوا في عصر الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، ومع هذا أنه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل، فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال»[1].

٣ ـ **فَعُل** في الأسماء، كعَضُدٍ ورَجُلٍ، يصيران: عَضْدٍ ورَجْلٍ **وفَعُلَ** في الأفعال، ككَرُمَ، فيصير: كَرْمَ.

ولم يذكر سيبويه سبب هذا الحذف، لأنه مفهوم من سبب تخفيف وزن فعل، حيث إنهم يكرهون الضمة بعد الفتحة كما يكرهون الكسرة بعدها، حيث إن الفتحة أخف والضمة أو الكسرة أثقل، فكرهوا الخروج من الأخف إلى الأثقل.

٤ ـ **فُعُل** في الأسماء، مثل: الرُسُل الطُنُب والعُنُق، فتصير: الرُسْل والطُنْب والعُنْق. وعن هذا التخفيف يقول سيبويه:

«وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخففون أيضاً، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان؛ لأن الضمة من الواو»[2].

وإذا كان الحرف الثاني واواً مضمومة كان التخفيف أشد، نحو: نُوُرٍ وعُوُنٍ وقُوُلٍ، فتصير: نُوْرٌ وعُوْنٌ وقُوْلٌ؛ لأنهم إذا سكنوا في غير الواو

---

(١) السابق ٤/١١٤.

(٢) الكتاب ٤/١١٤.

كالرُسُلِ والكُتُبِ كراهية الضمة فإن حاجتهم إلى التسكين عند وجود الواو والضمة أشد وذلك لثقل الواو والضمة[1].

٥ ـ فِعِلٌ فى الأسماء، كإبِلٍ، فتصير: إبْلٌ. وعن سبب التخفيف يقول سيبويه:

«وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء كما تكره الياءان فى مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تكره الياءان»[2].

أما إذا توالت الفتحتان أى فتحة الفاء والعين على وزن (فعل) فى الأسماء، نحو: جَمَلٍ وحَمَلٍ، فإن سيبويه يرى أنهم لا يخففون، وذلك لخفة الفتحة، يقول:

«وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء... وذلك نحو: جملٍ وحملٍ ونحو ذلك»[3].

غير أن القراءآت القرآنية ورد فيها تخفيف الحرف الثانى المفتوح كما سنرى فيما بعد عند عرضنا نماذج من القراءات القرآنية.

وهذا التخفيف الذى حدث فى العربية حدث ما يشبهه فى العبرية فى كلمة נֶפֶשׁ nēp̄eš حيث صارت נַפְשׁ nap̄š وحركته النون فيها بالفتحة القصيرة بدلاً من الكسرة الممالة الطويلة، وبقيت تلك الكلمة بلا تخفيف فى الأكادية[4].

---

(١) المنصف ١/٣٣٦ وأرى أن ما حدث فى الكلمات الثلاثة أن الواو سكنت فيها، ثم تماثلت الواو الساكنة مع الضمة السابقة فتحولت إلى ضمة مثلها، ثم تحولت الضمتان إلى ضمة طويلة: نُوْرٌ ـ عُوْنٌ ـ قُوْلٌ > نورٌ وعونٌ وقولٌ.

(٢، ٣) الكتاب ٤/١١٥ وانظر أسباب التخفيف السابقة كذلك: شرح الشافية ١/٤٢ ـ ٤٤ ولهجة تميم ١٥٦ واللهجات العربية ٣٠٣.

(٤) التطور النحوى ٦٨.

- ويدخل فى إطار ما سبق من التخفيف بعض الكلمات التى اتبعت فيها حركة أولها لحركة ثانيها، نحو: شَهِد ولَعِب ونَعِم وبَئِس، فتماثلت حركة الحرف الأول وهى الفتحة مع حركة الحرف الثانى وهى الكسرة، فتحولت إلى كسرة مثلها (مماثلة رجعية re-gressive) فصارت: شِهِد، ولِعِب ونِعِم وبِئِس، ثم حذفت حركة الحرف الثانى تخفيفاً، فصارت: شِهْد، ولِعْب ونِعْم وبِئْس.

هذا هو مفهوم كلام سيبويه التالى، يقول فى:

«هذا باب ما أسكن من هذا الباب الذى ذكرنا وتُرِك أول الحرف على أصله لو حُرِّك؛ لأن الأصل عندهم أن يكون الثانى متحركاً، وغيَّرَ الثانى أوَّلَ الحرف، وذلك قولك: شِهْد ولِعْب، تُسكن العين كما أسكنتها فى علْم، وتدع الأول مكسوراً؛ لأنه للأَخْطل هكذا:

إذا غاب عنا غاب عنا فُراتُنا وإنْ شِهْدَ أجدى فَضْلُهُ وجداوِلُهْ

ومثل ذلك: نِعْمَ وبِئْس، إنما هما فَعِل، وهو أصلهما، ومثل ذلك: فيها ونِعْمَتْ، إنما أصلهما: فَيها ونَعِمتْ. وبلغنا أن بعض العرب يقول: نَعْمَ الرَّجُلُ»(١).

- ولم يرد فى القراءات القرآنية مخففاً ثانية إلا على ثلاثة أبنية هى: فَعُل، وفَعِل، وفُعُل. وأكثرها وروداً فُعُل، وفيما يلى استعراض أمثلة ذلك:

١- فَعُل

- (عَضُد) قال تعالى: «وما كنت متخذ المضلين عَضُداً» الكهف/ ٥١.

---

(١) الكتاب ٤/١١٦ وانظر كذلك: اللهجات العربية الغربية القديمة ١٧٦ والتطور النحوى ٦٨.

«قرأ عيسى بن عمر والأعرج وأحمد بن موسى عن أبى عمرو (عَضْداً) بفتح العين وسكون الضاد، وهو تخفيف من (فَعُل) قالوا: رَجُل ورَجْل وسُبُع وسُبْع. وهى لغة تميم وبكر»(١).

ـ (رَجُل) قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ يونس/٢

«قرأ رؤبة (إلى رَجْلٍ) بسكون الجيم، وهى لغة تميمية، يسكنون (فَعُلاً) نحو: سبُع وعضُد فى: سبْعٍ وعضْدٍ.

ـ (كَبُرَت) قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ الكهف/٥.

«قرئ (كَبْرَتْ) بسكون الباء. وهى لغة تميم»(٣).

ـ (حَسُنَ) قال تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾النساء/ ٦٩.

«قرأ أبو السمال العدوى (حَسْنَ) بسكون السين. وهى لغة تميم»(٤).

٢ـ فَعِل:

ـ (عقبيْه) قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ البقرة/ ١٤٣.

«قرأ ابن أبى اسحاق ﴿عقْبَيْه﴾ بسكون القاف، وتسكين عين فَعِل اسماً كان أو فعلاً لغة تميمية»(٥).

---

(١) معجم القراءات ٥/٢٣٩.
(٢) السابق ٣/٤٩٠.
(٣) السابق ٥/١٥٣.
(٤) السابقة ٢/١٠٣.
(٥) السابق ١/٢٠٧.

- (فَنَظِرَةٌ) قال تعالى: ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ البقرة/ ٢٨٠.

«قرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة والوليد بن مسلم عن ابن عامر (فَنَظْرَةٌ) بسكون الظاء. وهى لغة تميمية، يقولون كبِدٌ كبْدٌ»(١).

- (قَطِران) قال تعالى: ﴿ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾ إبراهيم/ ٥٠.

«قرأ عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعيسى بن عمر والأعمش (من قَطْران) بفتح القاف وسكون الطاء»(٢).

- (نَعِم) قال تعالى: ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ الرعد/ ٢٤ «روى عن يحيى بن وثاب (فَنَعْم) بفتح النون وسكون العين، وهو تخفيف من (نَعِم) وتخفيف فَعِل لغة تميمية»(٣).

٣ - فَعَل:

- (رَغَداً) قال تعالى: ﴿ وكلا منها رغدا حيث شئتما ﴾ البقرة/ ٣٥.

«قراءة إبراهيم النخعى ويحيى بن وثاب (رَغْداً) بسكون الغين. وهى لغة تميم»(٤).

- (وَهَنوا) قال تعالى: ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ﴾ آل عمران/ ١٥.

---

(١) السابق ١/٤٠٨.
(٢) السابق ٤/٥٢٢.
(٣) السابق ٤/٤١٣.
(٤) السابق ١/٨١.

«قرأ أبو السمال وعكرمة (وَهْنُوا) بإسكان الهاء، كما قالوا فى نَعِم: نَعْم، وفى شَهِد: شَهْد، وتميم تسكّن عين فَعِلَ»[1].

٤ـ فُعْل:

ـ (الثُلُث) قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ النساء/ ١١.

«قرأ الحسن ونعيم بن ميسرة والأعرج (الثُلْث) بسكون اللام. وهى لغة تميم وربيعة»[2].

ـ (السُدُس) قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ النساء/ ١١.

«قرأ الحسن ونعيم بن ميسرة والأعرج وأبو رجاء العطارى (السُدْس) بسكون الدال. وهى لغة تميم وربيعة»[3].

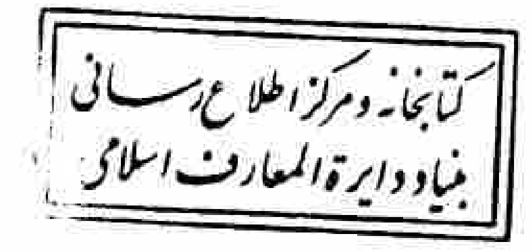
ـ (رُسُل) قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ﴾ الأنعام/ ١٢٤.

«قرأ المطوعى (رُسْل) بضم فسكون، وهى لغة تميم وأسد وعامة قيس»[4].

ـ (أُكُلَها) قال تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ الكهف/ ٣٣.

---

(١) السابق ١/ ٥٩١.
(٢) السابق ٢/ ٢٦.
(٣) السابق ٢/ ٢٨.
(٤) السابق ٢/ ٥٣٩.



- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن واليزيدى والحسن (أُكْلَهَا) بسكون الكاف. وهى لغة تميم وأسد وعامة قيس»(١).

- (دُبُرَهُ) قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا ﴾ الأنفال/ ١٦.

«قرأ الحسن (دُبْرَهُ) بسكون الباء، وهو على التخفيف، وهو لغة تميم وأسد وعامة قيس»(٢).

- (عُرُباً) قال تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ الواقعة/ ٣٧.

«قرأ حمزة وشجاع وعباس والأصمعى عن أبى عمرو وخارجة وكردم وأبو خليد عن نافع وحماد ويحيى عن أبى بكر وأبَان عن عاصم وإسماعيل وخلف والأعمش (عُرْباً) بسكون الراء للتخفيف. وهى لغة تميم وبكر ونجد»(٣).

* كما وردت قراءات أخرى من باب إتباع حركة الأول للثانى وهى:

- (صَدُقَاتِهِن) قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾النساء/ ٤.

«قرأ قتادة وأبو السمال (صُدْقَاتِهِنَّ) بسكون الدال، جمع صُدْقَة بوزن غُرْفَة. وهى لغة تميم»(٤).

صَدُقَاتهن > صُدُقَاتهن > صُدْقَاتهن.

- (قَطِران) قال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ إبراهيم/ ٥٠.

---

(١) السابق ٥/٢٠٥.

(٢) السابق ٣/٢٧٣.

(٣) السابق ٩/٣٠١.

(٤) السابق ٢/١٢.

«قرأ عيسى بن عمر والأعمش (من قِطْران) بكسر القاف وإسكان الطاء» وقال ابن جنى عن هذه القراءة وقراءة (قَطْران) السابقة:

«والأصل فيها قَطِران، فأسكنا على ما يقال فى كَلِمَةٍ: كَلْمَةٌ وكِلْمَةٌ، لغة تميمية»[1].

قَطِران > قِطِران > قِطْران.

- (عَضُداً) قال تعالى: ﴿ وما كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ الكهف/ ٥١.

«قرأ الحسن وعكرمة (عُضْداً) بإسكان الضاد ونقل حركتها وهى الضمة إلى العين، وهو تخفيف. وهى لغة تميم»[2].

وأرى أن هذا ليس نقلاً إنما هو إتباع حركة العين لحركة الضاد، ثم تسكين الضاد وبحذف حركتها من باب التخفيف، ودليل ذلك قراءة «هارون عن أبى عمرو وشيبة وخارجة والحقاف والحسن وأبو زيد والأعرج وابن عامر (عُضُداً) بضمتين»[3].

عَضُداً > عُضُداً > عُضْداً.

- ما يُحمل على تسكين الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية:

يحمل على الكلمات الثلاثية السابقة فى حذف حركة الحرف الثانى منها الشيئان المتصل أحدهما بالآخر حتى يصيرا كالكلمة الواحدة، ويشمل ذلك نوعين، هما:

الأول: الضميران (هو) و(هى) المسبوقان بواو العطف أو فائه أو لام الابتداء، أو همزة الاستفهام، ويكونان على وزنى فَعُل وفَعِل.

---

(١) السابق ٤/٥٢٢.

(٢، ٣) السابق ٥/٢٣٩.

ـ وزن فَعُل: نحو: وَهُوَ الله، وفَهُوَ ما ترى، فيصيران: وَهْوَ الله، وفَهْوَ ما ترى. وكذلك: لَهُوَ أفضل من عمرو، يصير: لَهْوَ أفضل من عمرٍو.

ـ وزن فَعِل: نحو: أَهِيَ عندك، يصير: أَهْيَ عندك، وقال الشاعر:

وقمت للصيف مرتاعاً وأرَّقنى ... فقلت أَهْيَ سَرَتْ أم عادنى حُلُمُ

وسبب هذا التخفيف هو الحمل ـ كما قلت ـ على ما كان من الكلمات الثلاثية التى على وزنى فَعُل وفَعِل، وهذا هو مفهوم كلام ابن جنى التالى:

«ووجه هذا أن هذه الأحرف لما كن على حرف واحد وضعفن عن انفصالها وكان ما بعدها على حرفين، الأول منهما مضموم أو مكسور أشبهت فى اللفظ ما كان على فَعُل أو فَعِل، فخفف أوائل هذه كما يخفف ثوانى هذه، فصارت (وَهُوَ) كعَضُد، وصار (وَهْوَ) كعَضْد، كما صارت (أَهِيَ) كعَلِم، وصار (أَهْيَ) بمنزلة عَلْم»(1).

ويرى أن (ثُمَّ) لا تعامل معاملة الحروف السابقة ـ الواو والفاء واللام والهمزة ـ لأن (ثم) منفصلة يمكن الوقوف عليها، فلا تخلط بما بعدها وتصير معه كالجزء الواحد كما حدث مع الحروف الأربعة السابقة، وبناء على هذا اعتبر قراءة أهل الكوفة: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الحج/15 بسكون لام (ليقطع) قبيحاً(2).

أما ابن يعيش فيفسر تسكين اللام هنا على أساس أن الميم فقط لا (ثم) كلها صارت مع اللام والياء من (لِيَقْطَعْ) كالكلمة الواحدة على وزن

---

(1) الخصائص 2/329 ـ 330 وانظر كذلك شرح الشافية 1/45 وفقه اللغات السامية 79.
(2) الخصائص 2/330.

فَعِلَ، من هنا جاء التخفيف، وذكر أن ذلك يشبه قولهم: أراك مُنْتَفْخاً والمراد: مُنْتَفِخاً، حيث شبه (تَفِخا) بكَتِفٍ[1].

ـ وقد ورد في القراءات القرآنية الضمير (هو) مسبوقاً بواو العطف وفائه واللام وثم، على وزن (فَعُلَ) على النحو التالي:

ـ (وَهُوَ) قال تعالى: ﴿ثُمَّ استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ البقرة/ ٢٩.

«قرأ بتسكين الهاء (وَهْوَ) نافع وأبو عمرو والكسائي وقالون وأبو جعفر والحسن واليزيدي. والإسكان لغة نجد»[2].

ـ (فَهُوَ) قال تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ الإسراء/٩٧.

«قرأ أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر وقالون والحسن واليزيدي (فَهْوَ) بسكون الهاء. وهي لغة نجد»[3].

ـ (لَهُوَ) قال تعالى: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ الشعراء/ ١٤٠.

«قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر والحسن واليزيدي (لَهْوَ) بإسكان الهاء. وهي لغة نجد»[4].

ـ (ثُمَّ هَوَ) قال تعالى: ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ القصص/ ٦١.

---

(١) شرح المفصل ٩/ ١٤٠.

(٢) معجم القراءات ١/ ٢٢،

(٣) السابق ٥/ ١٢٣،

(٤) السابق ٦/ ٤٤٥.

«قرأ الكسائى والحلوانى عن قالون وأبو جعفر بخلاف عنه ونافع بخلاف عنه (ثُمَّ هْوَ) بسكون الهاء. والتسكين لغة نجد»[1].

الثانى: الفعل المتصل به ضمير نصب (فى موضع المفعول به)

وهذا الضمير يكون مع الحرفين الذين يسبقانه كالكلمة الواحدة، مع ملاحظة أن الحرف الثانى من هذين الحرفين هو الحرف الأخير من الفعل وأنه محرك بحركة الإعراب وعند التخفيف تحذف حركة الإعراب هذه. وهذا من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل.

ومن خلال استعراض القراءات القرآنية المخفف فيها حرف الإعراب بحذف حركته وجدتها على الأوزان الآتية:

- فَعُلْ (يلعنُهمْ) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة/ ١٥٩.

«قراءة ابن محيصن (يلْعنْهم) بسكون النون عن التخفيف، وهى لغة تميم»[2].

- (بعولتهنّ) قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ البقرة/٢٢٨.

«قرأ مسلمة بن محارب (وبُعُولَتْهنَّ) بسكون التاء فراراً من ثقل توالى الحركات، وقالوا هو لغة تميم»[3].

---

(١) معجم القراءات ٧/٦٣ ـ ٦٤.

(٢) السابق ١/٢٢٢.

(٣) السابق ١/٣١٣.

- فعِل (بارِئِكُمْ) قال تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة/٥٤.

«قرأ أبو عمر واليزيدى وسيبويه والسوسى وعبدالوارث والدانى والفارسى وابن ظاهر بالإسكان (بارِئْكُمْ) وذلك إجراء للمنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة، فإنه يجوز تسكين مثل (إبِل) فأجرى المكسورات فى (بارِئِكُمْ) مجرى إبِلٍ، وإسكان الهمزة لغة بنى أسد وتميم وبعض بنى نجد طلباً للتخفيف»(١).

- فُعُل (يأمُرُكُمْ) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء/٥٨.

«قرأ أبو عمرو من رواية السوسى وابن محيصن (يأمُرْكُمْ) بسكون الراء، وهى لغة بنى أسد وتميم وبعض نجد طلباً للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد كالضمة هنا»(٢).

- فعُل (يعلِّمُهُمْ) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ البقرة/١٢٩.

«قرأ أبو عمرو وابن محيصن والسوسى (ويعلِّمْهُمْ) بإسكان الميم الأولى، وذهب ابن جنى إلى أن العلة فى الإسكان توالى الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم، فيخففون بإسكان حركة الإعراب، وهى لغة تميم»(٣).

---

(١) السابق ١/١٠١.

(٢) معجم القراءآت ٢/٩٣ كما وردت كذلك كلمة (يأمركم) الأعراف/١٥٧ فى المعجم ٣/١٨١.

(٣) السابق ١/١٩٦.

- (يُشْعِرْكُمْ) قال تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام/١٠٩.

«قرأ أبو عمرو وابن فرح عن اليزيدى والسوسى وابن محيصن (وما يُشْعِرْكُمْ) بسكون الراء. وهى لغة بنى أسد وتميم وبعض نجد طلباً للتخفيف»[١].

** وأرى أن السبب فى التخفيف فى كل ما سبق لا يعود إلى كراهية الضمة أو الكسرة بعد الفتحة أو إلى كراهية الضمتين كما ذكر القدماء من علمائنا ، وإنما يعود إلى ظاهرة النبر، وواضح فيما سبق أن هذه الكلمات الثلاثية عبارة عن ثلاثة مقاطع من النوع القصير المفتوح، أى المكون من صامت + حركة قصيرة (ص ح) ومن القواعد المقررة فى النبر أنه يقع على المقطع الثالث من الكلمة حين نعد المقاطع من آخر الكلمة إذا كانت المقاطع الثلاثة من النوع السابق (ص ح) يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس:

«أما فى الفعل الماضى الثلاثى مثل: كَتَبَ وفَرِحَ وصَعُبَ، فالنبر يكون على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من آخر الكلمة»[٢].

ويقول الدكتور عبدالفتاح إبراهيم: «وإذا كانت المقاطع الثلاثة الأخيرة من نوع المقاطع القصير (CV) فإن النبر يقع على المقطع الثالث ابتداء من الآخر: قَـ/تَـ/لَ - مَكْتَـ/بَـ/تُـ/ـه»[٣].

---

(١) السابق ٥١٨/٢.

(٢) الأصوات اللغوية ١٧٢.

(٣) مدخل فى الصوتيات ١٦٧.

ويقول بروكلمان:

« في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها»[1].

معنى هذا يمكن أن نقول إن حذف حركة المطع الثاني يعود إلى أن هذا المقطع غير منبور، كما يمكن رده كذلك إلى إيثار المقاطع المغلقة على المفتوحة.

يقول غالب فاضل المطلبي بعد ذكره علل القدماء التي أوردناها من قبل:

«غير أنني أرى أن هذه ليست بالعلة الوحيدة للتخفيف عند تميم، ذلك أن مسألة التخفيف ليست إلا أحد وجوه ظاهرة كبيرة في لهجة تميم، تلك الظاهرة هي النظام المقطعي، كما أنه يؤدي دوراً بارزاً في سرعة النطق التي كانت إحدى صفات لهجة تميم، ومما يوضح أهمية التخفيف أيضاً أن التميميين قد بالغوا فيه حتى أنهم غلبوه على حركة الإعراب كما في قراءة ابي عمرو (يأمُرْكُمْ) ولعل أقل ما يمكن أن يقال في هذا المجال: إن لهجة تميم كانت تميل إلى المقاطع المغلقة، فتقول في كَبِد: كَبْد... إلخ وإلى الضغط (النبر) في مكان بعينة»[2].

---

(١) فقه اللغات السامية ٤٥.

(٢) لهجة تميم ١٥٦.

٣ - الإتبـــاع

يشيع فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها ظاهرة الإتباع فى الحركات، وبذلك يحدث الانسجام، ومن خلال استعراض القراءات القرآنية وجدت أن الإتباع فى الحركات يتنوع فيما يأتى:

١ - كسر فاء فعيل إتباعاً للعين إذا كانت من حروف الحلق.

٢ - إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة قبلها.

٣ - إتباع حركة واو العطف وفائه لكسرة همزة إن.

٤ - إتباع حركة الضمير (ها) للضمة فى (أىُّ) و(أيَّةُ) فى أيُّها وأيَّتُها.

٥ - إتباع حرف الإعراب لما ليس حرف إعراب والعكس.

٦ - إشمام الصاد زاياً إذا جاورت صوتاً مجهوراً.

وفيما يلى بيان ذلك

١ - كسر فاء فعيل إتباعاً للعين إذا كانت من حروف الحلق

نُسب إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إتباع فاء فعيل للعين إذا كانت من الحروف الحلقية الستة - الهمزة والهاء والحاء والخاء والعين والغين - مثل: لئيم، وشهيد، وسعيد، ونحيف، ورغيف، وبخيل، وبئيس[1].

(١) الكتاب ٤/١٠٧ - ١٠٨ وانظر كذلك: الخصائص ٢/٢٣٦ وشرح الشافية ١/٤٠.

وذكر ابن جنى أن القاف تحمل على الخاء لأنها قريبة منها فى المخرج، فتكسر الفاء قبلها كذلك كما تكسر قبل الخاء، ومثل لذلك بما حكاه الأخفش من قولهم: النقيد[1].

وعن السبب فى كسر الفاء إذا كانت العين من حروف الحلق، يقول سيبويه:

«وإنما كان هذا فى هذه الحروف؛ لأن هذه الحروف قد فعلت فى (يَفْعَلُ) ما ذكرت لك حيث كانت لامات، من فتح العين، ولم تفتح هى أنفسها لأنه ليس فى الكلام (فَعَيَلٌ)... فلزمها الكسر ههنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح، وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها لما ذكرت لك، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف حيث كانت الكسرة تشبه الألف فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد، وإنما جاز هذا فى هذه الحروف حيث كانت تفعل فى (يَفْعَلُ) ما ذكرت لك، فصار لها فى ذلك قوة ليست لغيرها»[2].

ويفهم من كلام سيبويه السابق ما يأتى:

١ ـ الحروف الحلقية إذا وقعت فى موضع اللام فى الفعل تغير حركة العين من الكسر إلى الفتح وذلك لخفة الفتحة وانسجامها مع الحروف الحلقية، فلما وقعت هى نفسها فى موضع العين فى صيغة (فَعِيل) لم تفتح لئلا يتحول (فَعِيل) إلى فَعَيْل) مما يؤدى إلى بناء مرفوض، فكان لابد من كسر ما قبلها.

---

(١) الخصائص /٢٣٦.

(٢) الكتاب ١٠٨/٤.

٢ ـ غير حروف الحلق المكسورة حركة الفاء التى قبلها من الفتح إلى الكسر أى مثل حركتها (مماثلة رجعية regressive) وذلك لأن الكسر قريب من الفتح كما يقول الرضى(١)، فكأنها بذلك قد غيرت ما قبلها إلى الفتح؛ لأن عادة حروف الحلق دائماً أن تُغير ما قبلها أو تغير نفسها، فلما امتنع تغيير نفسها من الكسر إلى الفتح غيرت ما قبلها.

٣ ـ مال التميميون إلى هذا التغيير بغية الانسجام ليكون العمل من وجه واحد لا من وجهين (فتح ثم كسر) وهذا كما يقول سيبويه يشبه الإدغام، حيث إن الغرض منه هو رفع اللسان من موضع واحد بالحرفين معاً، أى النطق بهما من مخرج واحد.

وقد جعل ابن جنى ذلك من باب الإدغام الأصغر الذى عرفه بأنه «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام» وعد من ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق فى وزن فعيل، كقولهم: شِعيرٌ، وبِعيرٌ، ورِغيفٌ، وزِئيرُ الأسد(٢).

ولا شك أن هذا الانسجام الصوتى بتتابع الحركات مما تتطلبه السرعة فى النطق التى هى من خصائص أهل البادية(٣).

وقد ورد هذا الإتباع فى القراءات القرآنية فى موضعين هما:

١ ـ (بهيمة) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ المائدة/١.

---

(١) شرح الشافية ١/٤١ ويرجع السبب فى قرب الكسرة من الفتحة أنهما من الحركات الأمامية المفتوحة عكس الضمة فإنها من الحركات الخلفية الضيقة.

(٢) الخصائص ٢/١٤٣ و١٤٦.

(٣) اللهجات العربية ٢٩٧.

«قرأ أبو السمال (بهيمة) بكسر الباء، وهى لغة تميم»[1].

٢ ـ (بَئِيس) قال تعالى: «وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيس» الأعراف/١٦٥.

«قرأ أهل مكة وابن كثير وابن عامر فى رواية وشبل (بِئِيس) الباء مكسورة ثم همزة مكسورة وبعدها ياء ساكنة على زنة (فِعِيل).

قال أبو حيان: وهى لغة تميم فى (فَعِيل) حلقى العين، يكسرون أوله سواء كان اسماً أو صفة»[2].

٢ ـ إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة قبلها

تتماثل حركة ضمائر الغيبة مع الياء أو الكسرة السابقة عليها، فتتحول إلى كسرة فى لهجات قبائل وسط الجزيرة العربية ـ قيس وتميم وأسد ـ وكذلك بنو سعد غربى الجزيرة العربية، وبذلك يحدث الانسجام بين الحركات. وقبل أن أستعرض ما يدل على ذلك من القراءات القرآنية يجب أن نتعرف أصل حركة ضمائر الغيبة، وذلك على النحو التالى:

يرى سيبويه أن الأصل فى ضمير الغائب إذا كان لمفرد أن تكون حركة الضمة وبعدها واو (سهو) أما إذا كان للجمع فإنه يكون بعد الهاء المضمومة ميم محركة بضمة وبعدها واو كذلك (سهمو) وإذا سبق هذان الضميران بكسرة أو ياء، فإن ضمة ضمير المفرد تتحول إلى كسرة، ثم تقلب الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها، وبالنسبة لضمير الجمع فإن الضمة فى الهاء والميم تتحول إلى كسرة، ثم تقلب الواو ياء كما حدث فى ضمير المفرد :

---

(١) معجم القراءات ٢/٢١٥.

(٢) السابق ٣/٢٠٠.

يهُو / لَدَيْهُو > بِهِي / لَدَيْهِي.

بِهُمُو / لَدَيْهُمُو > بِهِمِي / لَدَيْهِمِي.

يقول سيبويه في: «هذا باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار: اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو؛ لأنها في الكلام كله هكذا، إلا أن تدركها هذه العلة التي أذكرها لك. وليس يمنعهم من أذكر لك أيضاً من أن يخرجوها على الأصل.

فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة؛ لأنها خفية كما أن الياء خفية، هي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة، وهي من موضع الألف وهي أشبه الحروف بالياء. فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً، كذلك كسروا هذه الهاء، وقلبوا الواو ياء؛ لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة، فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها، نحو: كلابٍ وعابدٍ، وذلك قولك: مررت بِهِي قبلُ، ولَدَيْهِي مالٌ، ومررت بدارِهِي قبل.

فإن لحقت الهاءَ الميمُ في علامة الجمع كسرتها كراهية الضمة بعد الكسرة، ألا ترى أنهما لا يلزمان حرفاً أبداً، فإذا كسرت الميم قلبت الواو ياء كما فعلت ذلك في الهاء»(١).

ويوضح ابن جني أصل ضمير الجمع وما حدث له بقوله:

«أصله: (عَلَيْهُمُوْ، وإلَيْهُمُوْ، وبِهُمُوْ). فالهاء للإضمار، والميم علامة تجاوز الواحد، والواو لإخلاص الجمع، ثم إنهم يبدلون ضمة الهاء كسرة

---

(١) الكتاب ٤/١٩٥.

لخفاء الهاء ووقوع الكسرة والياء الساكنة قبلها، فيقولون: (يليهمُو، وبهمُو، وإليهمُو) ثم إنهم قد يستثقلون الخروج من كسر الهاء إلى ضم الميم، فيبدلون من ضمة الميم كسرة، فيصير في التقدير ولا يستعمل البتة (عليهمِوْ، وإليهمِوْ، وبهمِوْ) فتقلب الواو ياء لوقوع الكسرة قبلها، فيصير: (عليهمِي، وإليهمِي، وبهمِي)».

ثم يذكر بعد ذلك أن الياء الأخيرة هنا تحذف استثقالاً لها:

«ثم تستثقل الياء هنا، فتحذف تخفيفاً هى والكسرة قبلها، ولا يُخاف لبس لأن التثنية بالألف لابد منها، فيقال: (عَلَيْهِمْ، وإِلَيْهِمْ، وبِهِمْ) وهى قراءة أبى عمرو»

كما يذكر كذلك أن الياء الأخيرة فى ضمير المفرد تحذف:

«وتحذف أيضاً الياء الزائدة بعد هاء إضمار الواحد، نحو: مررت به يا فتى، قرأ بعضهم: ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ القصص/٨١[١].

يفهم من كلام ابن جنى السابق أن الياء الأخيرة تحذف فى الضميرين ويبقى ما قبلها (الميم فى ضمير الجمع، والهاء فى ضمير المفرد) ساكناً لأن الياء تحذف مع الكسرة التى قبلها، وهذا صحيح ومستعمل بكثرة فى ضمير الجمع أما ضمير المفرد فلا يستعمل إلانادراً، ليس عند جميع القبائل العربية إنما عند بنى كلاب وبنى عقيل كما سنرى عند عرضنا للقراءات القرآنية فيما بعد.

والأمر كذلك بالنسبة لضميرى المثنى وجمع المؤنث:

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢/٧٧٣ ـ ٧٧٤ ولا يُعرف قارىء هذه القراءة.

عَلَيْهُنَّ < عَلَيْهِنَّ

بِهُما < بِهِما(1)

وجميع ما ذكر هو ما عليه الفصحى، أما الحجازيون واليمنيون فيبقون على الحركة الأصلية للهاء فى جميع الضمائر، وهى الضمة القصيرة، وإن كان قبلها كسرة أو ياء يقول أبو حيان:

«يقول الفراء: قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم من فصحاء اليمن يرفعون الهاء من: «نَزَّل عليهُ الذكر» الحجر/٦ وعليهُما، وعليهُمْ، وعليهُنَّ، ولا ريب فيهُ، ونزلتُ بهُ»(2).

أما سيبويه فيذكر أنهم يُبقون على الحركة الأصلية لضمير المفرد وبعدها الواو، يقول:

«وأهل الحجاز يقولون: مررت بهُو قبل، ولديهو مال»، ويقرءون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهُ وَبِدَارِهُ الأَرْضَ﴾ القصص/٨١(3).

- وأرى من خلال ما سبق أن الأصل فى ضمير المفرد الغائب أن يكون محركاً بالضمة الطويلة وليس بضمة (u) قصيرة بعدها واو كما ذكر، والدليل على ذلك أن أصل هذا الضمير فى العبرية هــو: הוא hū في آخره همزة، مما يدل على أنها كانت تنطق فى فترة سابقة (hū'a) ثم سقطت من النطق وبقيت الضمة الطويلة(4).

(1) فقه اللغات السامية ٦٤.

(2) الارتشاف ٩١٨/٢ وانظر كذلك اللهجات العربية الغربية القديمة ١٨٠.

(3) الكتاب ١٩٥/٤.

(4) التطور النحوى ٨٢.

وإذا سبق هذا الضمير بكسرة أو ياء فإنها تؤثر على حركة الضمير (مماثلة تقدمية progressive) فتتحول الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة، ثم تقصر.

بِ ـ هـ ـُـُ < بِ ـ هـ ـِـِ < بِ ـ هـِ

دِ ـ ل ـ ى هـ ـُـُ < دِ ـ ل ـ ى هـ ـِـِ < دِ ـ ل ـ ى هـِ

أما إذا كان الضمير للجمع فالأصل أن تكون الهاء فيه محركة بالضمة القصيرة والميم بالضمة الطويلة، لا بضمة قصيرة بعدها واو كما ذكر من قبل، ومما يدل على أن حركة هذه الميم الضمة الطويلة أنها في الحبشية هكذا: ሕንተሙ 'antemmū ثم إذا سبق هذا الضمير بياء أو كسرة فإنها تؤثر على ضمة الهاء (مماثلة تقدمية) فتتحول إلى كسرة قصيرة، ثم تحذف حركة الميم، وهي الضمة الطويلة، تخفيفاً.

بِ ـ هـُ ـ م ـُـُ < بِ ـ هـِ ـ م ـُـُ < بِ ـ هـِ ـ م

ءِ ـ ل ـ ى ـ هـُ ـ م ـُـُ < ءِ ـ ل ـ ى هـِ ـ م ـُـُ < ءِ ـ ل ـ ى هـِ ـ م

وكذلك الأمر بالنسبة لضميري المثنى والجمع، تتأثر حركتهما وهي الضمة القصيرة بالياء أو الكسرة (مماثلة تقدمية) فتتحول إلى كسرة قصيرة.

بِ ـ هـُ ـ مَ ـَـَ / ءِ ـ ل ـ ى هـُ ـ م ـَـَ < بِ ـ هـِ ـ م ـَـَ / ءِ ـ ل ـ ى هـِ ـ م ـَـَ

بِ ـ هـُ ـ ن ن ـَ / ءِ ـ ل ـ ى هـُ ـ ن ن ـَ < بِ ـ هـِ ـ ن ـَـَ / ءِ ـ ل ـ ى هـِ ـ ن ن ـَ.

وهذه المماثلة في لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها هو ما عليه الفصحى كذلك. وفيما يلي استعراض ما ورد من القراءات القرآنية منسوباً إلى هذه القبائل.

- (عَلَيْهِمْ) قال تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة/٧.

«قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي (عَلَيْهِمْ) بكسر الهاء وإسكان الميم، وهي لغة قيس وبني أسد وتميم»[١].

- (إِلَيْهِمْ) قال تعالى: ﴿ وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ﴾.

«قراءة الجماعة بكسر الهاء وذلك لمجانسة الكسر لفظ الياء. وهي لغة قيس وتميم وبني سعد»[٢].

كما وردت قراءة (إليهم) منسوبة إلى هذه القبائل في: الأعراف/٦[٣]. والتوبة/٢٢[٤] وإبراهيم/١٣[٥].

- (لَدَيْهِمْ) قال تعالى: ﴿ وأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ الجن/ ٢٨[٦].

- (فِيهِمَا) قال تعالى: ﴿ ومَا لَهُمْ فِيهِمَا من شِرْكٍ ومَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ ﴾ سبأ/٢٢[٧].

- (عَلَيْهِنَّ) قال تعالى: ﴿ والقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ النور/ ٦٠[٨].

وتخريج هذه القراءات هو نفس تخرج (إليهم) فيما سبق.

---

(١) معجم القراءات ٢٠/١.
(٢) السابق ٦٥٢/١.
(٣) السابق ٧/٣.
(٤) السابق ٤٧٨/٣.
(٥) السابق ٤٦٣/٤.
(٦) السابق ١٣٤/١.
(٧) السابق ٢٦٦/٧.
(٨) السابق ٣٠٣/٦.

ملاحظة:

نسب إلى بنى عقيل وبنى كلاب ـ من قبائل وسط الجزيرة العربية ـ حذف حركة ضمير المفرد الغائب ومن ثم تكون الهاء الساكنة، والاختلاس أى اختلاس حركة الضم أى النطق بها خفيفة. يقول أبو حيان:

«والاختلاس وتسكين الهاء عند سيبويه ضرور، وحكاهما الكسائى عن بنى كلاب، وبنى عُقَيْل لغة، تقول: لهُ وبهِ، ولهْ وبهْ وقرأ أبو جعفر: لهُ وبهِ، ويعقوب «بيده» البقرة/٢٣٧ بالاختلاس على هذه اللغة»[١].

وقد وردت قراءتان منسوبتان إلى هاتين القبيلتين، وهما:

١ ـ (يَرْضَهُ) قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر/٧.

«قرأ أبو عمرو فى رواية الدورى، وأبو شعيب السوسى، وأوقية عن اليزيدى، وحمزة فى رواية وأبو جعفر وشيبه وهبيرة ويحيى والأعمش والدورى وابن جماز وهشام وأبو بكر عن عاصم، وحمزة عن الأعمش (يَرْضَهْ) بسكون الهاء.

قال أبو حاتم: هذا غلط لا يجوز. وقال أبو حيان: وليس بغلط، بل ذلك لغة بنى كلاب وبنى عقيل، وهو من إجراء الوصل مجرى الوقف»[٢].

٢ ـ (لربِهِ) قال تعالى ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ العاديات/٦.

«قُرئ (لربِّهْ) بسكون الهاء، وهو من إجراء الوصل مجرى الوقف، وهى لغة قليلة قرئ بها، ونقلت عن بنى كلاب وعقيل وسمعها منهم الكسائى. وقرأ باختلاس حركة الهاء، وهى الكسرة، وهى لغة عقيل وكلاب»[٣].

---

(١) الارتشاف ٢/٩١٨.

(٢) معجم القراءات ٨/١٣٩.

(٣) السابقة ١٠/٥٤٣.

٣ ـ إتباع حركة واو العطف وفائه لحركة إنْ

يُتبع بعض بنى أسد حركة واو العطف وفائه وهى الفتحة القصيرة لحركة إنَّ وهى الكسرة القصيرة، وهو من باب المماثلة الرجعية regres-sive وهذا يدخل فى إطار ميل بعض أفراد هذه القبيلة إلى الانسجام بين الحركات، وهذا مما تتطلبه سرعة النطق الذى تتسم به لغة أهل البادية.

وقد ورد هذا منسوباً إليهم فى موضعين فى القراءات القرآنية، هما:

١ ـ إتباع الواو (وَأَنَّا)

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ الجن/٥.

«قال ابن خالويه: وبعض بنى أسد يقولون: (وِإنَّا ظَنُنَّا) بكسر الهمزة».

والأهل: وأنَّا ثم كسرت الهمزة: (وَإنَّا) وهذه قراءة «ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو ويعقوب والحسن وأبو جعفر ومجاهد ورزين جبيش وشيبه»[١] ثم كسرت الواو عند بعض بنى أسد على سبيل الإتباع للهمزة المكسورة، فصارت (وِإنَّا) وذلك فى بقية السورة.

٢ـ إتباع الفاء (فَإِنَّهُمْ)

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام/٣٣.

«قال ابن خالويه: حكى الأخفش أن بعض بنى أسد يقولون: (فِإنهم لا يكذبونك)[٢].

(١) معجم القراءات ١٠/١١٩.
(٢) السابق ٢/٢١٩.

٤ ـ إتباع حركة (ها) التنبيه لحركة (أيّ وأيّة) في أيّها وأيّتها

يُتبع بنو أسد حركة هاء التنبيه (ها) وهى الفتحة الطويلة لحركة (أىُّ وأيّةُ) فى أيُّها وأيّتُها، فتتحول إلى ضمة طويلة، ثم تقصر فتتحول إلى ضمة قصيرة.

ءَ ـ ىُ ى ـ هـ ـَـَ > ءَ ـ ىُ ى ـ هـ ـُـُ > ءَ ـ ىُ ى ـ هـ ـُ

ءَ ـ ىِّ ى ـ تَ هـ ـَـَ > ءَ ـ ىُّ ى ـ تُ ـ هـ ـُـُ > ءَ ـ ىُّ ى ـ تُ ـ هـ ـُ

وقد ورد هذا فى موضعين فى القراءات القرآنية، هما:

١ـ الإتباع لأىّ (أيُّها)

قال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ النور/٣١.

«فى الوصل: قرأ ابن عامر (أيُّهُ المؤمنون) بضم الهاء إتباعاً للضمة قبلها، وهو عند العكبرىّ بعيد، وعند أبى على الفارسى قراءة ضعيفة. وذكر غيرهما أنها لغة بنى أسد. وهى عند ابن الأنبارى لغة»[١].

٢ـ الإتباع لأيّة (أيّتُها)

قال تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ الفجر/٢٧.

«ذكر المراوى والشيخ خالد الأزهرى وغيرهما أنه قرئ (يأيّتُهُ) بضم الهاء. وذكروا أنها لغة بنى مالك من بنى أسد[٢].

---

(١) معجم القراءات ٦/٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٢) السابق ١/٤٣١ ـ ٤٣٢.

٥ ـ إتباع حركة حرف الإعراب لحركة ماليس حرف إعراب والعكس

١ ـ نسب فى القراءات القرآنية إلى تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إتباع حركة حرف الإعراب لحركة ماليس حرف إعراب، ويشاركها فى ذلك بعض غطفان، من قبائل غربى الجزيرة العربية، وذلك فى موضعين:

الأول: في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ الكهف/١.

حيث «قرأ الحسن (الحمدِ لِله) بكسر الدال على إتباع حركة اللام، وهو حرف معرب لحركة غير إعراب. وهى لغة تميم وبعض غطفان، يتبعون الأول الثانى للتجانس»[١].

والثانى: فى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة/١.

فقد «قرأ الحسن وزيد بن على ورؤبة وأبو نهيك (الحمدِ لِله) بالكسر كذلك»[٢].

ويرى الفراء أن السبب فى هذا الإتباع يعود إلى كراهية وقوع الكسرة بعد الضمة، فثقل ذلك عليهم، ووجدوا أن الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد، مثل (إبِلِ) فكسروا الدال لتتشابه وكسرة اللام مع الكسرتين فى إبل[٣].

ومقتضى رأى الفراء هنا أن الكسر فى الدال لسببين، أولهما: كراهية الكسرة بعد الضمة، وثانيهما: وجود نظير له فى كلام العرب فى مثل (إبِلِ).

(١) السابق ٥/١٤٥.
(٢) السابقة ١/٤.
(٣) معانى القرآن ١/٣.

أما ابن جنى فيرى عكس ذلك، فالقراءة عنده شاذة فى القياس والاستعمال لسببين:

الأول: أن الأقيس فى الإتباع أن يكون الثانى تابعاً للأول؛ لأنه جارٍ مجرى السبب والمُسبَّب، ومن الواجب أن يكون السبب أسبق فى الرتبة، من المُسبَّب، وهذه القراءة فيها إتباع الثانى للأول، والقياس إتباع اللام لحركة الدال فى الضم، أى تكون (الحمدُ لُله) وهذه قراءة لابن أبى عبلة.

والثانى: أن الضمة فى الدال فى (الحمدُ) إعراب والكسرة فى اللام فى (لِله) بناء والإعراب أقوى من البناء، والقياس أن يكون الأضعف تابعاً للأقوى، لا العكس كما فى هذه القراءة[1].

وهذه القراءة تخضع لقانون المماثلة الصوتية، حيث أثرت حركة اللام وهى الكسرة على حركة الدال وهى الضمة، فتحولت إلى كسرة مثلها (مماثلة رجعية regressive) والهدف من هذه المماثلة إحداث الانسجام بين الحركات، وهذا كما ذكرت من قبل مما تتطلبه سرعة النطق عند أهل البادية.

٢ ـ أتبع بعض قيس، من قبائل وسط الجزيرة العربية، حركة ماليس حرف إعراب لحركة ما هو حرف إعراب، وقد نسب ذلك إليهم فى قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الفاتحة/١.

حيث «قرأ الحسن (الحمدَ لَله) بفتح اللام إتباعاً لنصب الدال. وهى لغة بعض قيس».

---

(١) المحتسب ١/٣٧ ـ ٣٨.

وجاء فى معجم القراءات أن نصب «الحمدَ لله على إضمار فعل، وهى قراءة هارون العتكى ورؤبة وسفيان بن عيينة وزيد بن على والحسن وابن السميقع. وذكر الطوسى أن نصب الدال لغة فى قريش والحارث بن أسامة بن لؤى».

وجاء فى هامش المعجم أن تقدير الفعل المضمر الناصب هو: أحمدُ لله الحمدَ، فاستغنى عن ذكر (أحمد)[1].

ويبدو أن من خلال رأى ابن جنى السابق تعليقاً على القراءة الأولى (الحمدِ لِله) أن هذه القراءة قوية فى القياس والاستعمال؛ لأن فيها إتباع الثانى للأول، وليس العكس كما فى القراءة السابقة.

وهى أيضاً تخضع لقانون المماثلة الصوتية، حيث أثرت حركة الدال، وهى الفتحة، على حركة اللام، وهى الكسرة، فقلبتها فتحة مثلها (مماثلة تقدمية progressive) وهنا يحدث الانسجام كما فى القراءة السابقة.

والاتجاهان السابقان من الإتباع يدخلان تحت ما أسماه ابن جنى بالإدغام الأصغر، الذى عرفه بأنه: «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام» وذكر من أنواعه: تقريب الحركة من الحركة ومثل له بـ «الحمدُ لُله، والحمدِ لِله»[2].

٦ - إشمام الصاد زايا

نُسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة قيس، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إشمام الصاد صوت الزاى، ومعنى ذلك كما يقول ابن يعيش:

---

(١) معجم القراءات ١/٥.

(٢) انظر الخصائص ٢/١٤٣ ـ ١٤٧.

«أن تنحو بالصاد نحو الزاى، فتصير حرفاً مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاى»[1]، محافظة على الإطباق لئلا يذهب لفظ الصاد بالكلية فيذهب ما فيها من الإطباق، والإطباق فضلة فى الصاد، فيكون إجحافاً بها»[2].

معنى ذلك أن هذه الصاد المشمة زاياً تجمع بين صفتى الجهر التى هى من خصائص الزاى، والإطباق التى هى من خصائص الصاد. ونطقها كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس يُشبه نطق العامة من الناس فى مصر لصوت الظاء، أى أنها تكون ظاءً غير لثوية[3].

ويحدث هذا النطق إذا جاورت الصاد المتحركة صوتاً مجهوراً، وقد ذكر أن هذا الصوت المجهور يكون واحداً من اثنين:

الأول: صوت الدال، مثل: صَدَر، وصَدَف[4].

ويقل الإشمام، إذا كانت الصاد ساكنة، إذا فصل بينهما أكثر من حرف وحركة فلا يجوز الإشمام، ويقتصر فى ذلك على ما سمع عن العرب كلفظ الصاد، والمصادر[5].

---

(1) مخرج الصاد والزاى عند القدماء مما بين طرف اللسان وفُوَيْق الثنايا ـ أى الثنايا السفلى ـ الأصوات اللغوية ١٣٢.
وهو شبيه إلى حد كبير بما عند علماء اللغة المحدثين، فالمخرج عندهم هو الأسنانى اللثوى، وعند النطق بهما يوضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلى ومقدمه ضد اللثة، مع رفع مؤخر اللسان نحو الطبق مع الصاد لأنه صوت مطبق أو مفخم، ولا يحدث ذلك مع الزاى. راجع مناهج البحث فى اللغة ٩٩ ـ ١٠٠.

(2) شرح المفصل ٥٣/١٠.

(3) فى اللهجات العربية ٧٤.

(4) سر الصناعة ٥١/١ وشرح الشافية ٢٣٢/٣.

(5) شرح الشافية ٢٣٢/٣.

الثـانى: صوت الطاء: يرى ابن جنى أن الصـاد لا تُشم صـوت الزاى إذا وقعت قبل غير الدال(١).

بينما يرى الرضى أنه يجوز إشمامها صوت الزاى إذا وقعت قبل الطاء وفُصل بينهما بأكثر من حرف، وعلل ذلك بأن الطاء كالدال، وذكر أن ذلك يُقتصر فيه على السماع(٢).

والمقصود بأن الطاء كالدال أى فى صفة الجهر فقط دون التفخيم فالطاء عند القدماء مجهورة، يقول سيبويه: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً»(٣) وبما أن الدال مجهورة فالطاء كذلك، ولا فرق بينهما إلا فى صفة الإطباق، أو التفخيم، هذا هو مفهوم قول سيبويه.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن نطق الظاء مجهورة يشبه نطقنا الآن لصـوت الضـاد، وقد استنتج ذلك من قـول ابن الجـزرى: «إن المصـريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة»(٤).

ويؤيد هذا الرأى أن بعض البدو فى اليمن لا يزالون ينطقونها على هذا النحو، فيقولون: مضر وأمضار، يقصدون: مطر، وأمطار(٥).

أما الفصحاء من متحدثى العربية اليوم فينطقونها بالهمس وهى النظير المفخم للتاء(٦).

عند القدماء: مجهورة، وهى النظير المفخم للدال.

---

(١) سر الصناعة ١/٥١.
(٢) شرح الشافية ٣/٢٣٢.
(٣) الأصوات اللغوية ٦٢ وانظر كذلك علم اللغة العام والأصوات ١٠٣.
(٤) الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين ٤٤.
(٥) الأصوات اللغوية ٦٢.

وعند المحدثين: مهموسة، وهى النظير المفخم للتاء.

وعلى هذا يمكن أن نعد نطقها الآن بالهمس من التغيرات التاريخية التى حدثت لهذا الصوت.

ويمكن أن نستنتج مما سَبق أن إشمام الصاد وزاياً يعود إلى أن هذه الصاد كانت مهموسة، وقد وقعت قبل صوت مجهور هو الدال أو الطاء، فتأثرت به، فنطقت صوتاً مجهوراً مثل نطق العوام من المصريين للظاء الفصيحة كما سبق أن ذكرنا، وهذه مماثلة رجعية regressive وذلك حتى يحدث الانسجام بين الحروف، وهذا أيضاً أدرجه ابن جنى تحت ما أسماه الإدغام الأصغر، وذكر أنه يدخل تحت ما أسماه: تقريب الحرف من الحرف[1].

ونطق الصاد بهذا النطق ورد فى القراءات القرآنية منسوباً إلى قبيلة قيس فى ستة مواضع، يمكن بيانها على النحو التالى:

١ـ صاد + دال (أصدق)

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء/٨٧.

«قرأ حمزة وخلف ورويس بخلاف عنه والأعمش بإشمام الصاد الزاى للمجانسة والخفة. وهى لغة قيس»[2].

كما وردت هذه الكلمة كذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ النساء/١٢٢ وتخريجها هو نفس التخريج السابق[3].

---

(١) راجع الخصائص ٢/١٤٣ ـ ١٤٧.

(٢) معجم القراءات القرآنية ٢/١٢٢.

(٣) السابق ٢/١٦١.

٢ـ صاد + طاء (صِراط)

قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ ﴾ الأعراف/٨٦.

«قرأ خلف عن حمزة والمطوعي وخلاد بخلاف عنه بإشمام الصاد الزاي، ومعناه مزج لفظ الصاد بالزاي (صراط) وهي لغة قيس»[١].

كما وردت الكلمة نفسها في ثلاثة مواضع، وتخريجها نفس التخريج السابق، وهي:

ـ قال تعالى: ﴿ واللهُ يدْعُو إلىٰ دارِ السّلامِ ويهْدِي من يشاءُ إلىٰ صراطٍ مُسْتقيمٍ ﴾ يونس/٢٥[٢].

ـ قال تعالى: ﴿ فستعْلمُون منْ أصْحابُ الصِّراطِ السّويِّ ومن اهتدىٰ ﴾ طه/١٣٥[٣].

ـ قال تعالى: ﴿ ليغفر لك اللهُ ما تقدّم من ذنْبك وما تأخّر ويُتمّ نعمته عليك ويهْديك صراطًا مُسْتقيمًا ﴾ الفتح/٢[٤].

٥ـ الإمـالـة

نسب في القراءات القرآنية إلى أهل نجد من تميم وقيس وأسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إمالة الألف نحو الياء[٥]. وهذا على عكس أهل الحجاز، فهم يلتزمون بالفتح[٦].

(١) السابق ٣/١٠٣.
(٢) السابق ٣/٥٣١.
(٣) السابق ٥/٥٢١.
(٤) السابق ٩/٤١.
(٥) تنسب كذلك إلى بكر بن وائل وعبدالقيس وتغلب من القبائل الشرقية في اللهجات العربية.
(٦) وكذلك جميع القبائل التي تسكن غربي الجزيرة العربية، بما في ذلك قبائل الحجاز، مثل: قريش وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة. في اللهجات العربية ٦٠.

والإمالة، لغة مصدر: أملته أميله، والميل هو الانحراف عن القصد، فيقال فيه: مال الشيء، ومنه: مال الحاكم، إذا عدل عن الاستواء.

واصطلاحاً: العدول بالألف عن استوائها، والجنوح بها إلى الياء، فيصير مخرجها بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها[1].

والتفخيم هو الأصل والإمالة طارئة، والذى يدل على ذلك أنه يجوز تفخيم كل ممال ولا يجوز إمالة كل مفخم، وأيضاً فإن التفخيم لا يَحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب[2].

ومعروف أن الألف الممالة تكون فى الأصل مسبوقة بفتحة[3]، وعند الإمالة تُمال الفتحة أولاً، فينحى بها نحو الكسرة ثم يُنحى بالألف التى بعدها نحو الياء، وذلك لتبعيتها للفتحة، كما فى كلمتى: عابد، وعارف، فتنطقان بالإمالة هكذا: ʿēbed ـ ʿērif [4].

والهدف من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التجانس[5].

---

(١) لا تميل جميع قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها بنسبة واحدة، بل كانت تلك الإمالة شديدة عند قبائل وسط الجزيرة، أما عند القبائل المتاخمة لمدن العراق فقد كانت صفيفة، أى قريبة من الفتح. فى اللهجات العربية ٦٠.

(٢) شرح المفصل ٩/٥٣ ـ ٥٤ وانظر كذلك: الارتشاف ٢/٥١٨ والتتمة فى التصريف ٢٦١ وشرح الشافية ٣/٤.

(٣) هذا هو تعبير القدماء دائماً، حيث يرون أن حروف المد الثلاثة ـ الألف والواو والياء ـ تسبق بحركة قصيرة من جنسها، فالألف قبلها فتحة، والواو قبلها ضمة، والياء قبلها كسرة. وهذا غير صحيح لأن حروف المد هذه حركة لما قبلها من حروف.

(٤) سر الصناعة ١/٥٢.

(٥) شرح المفصل ٩/٥٤.

ويُفهم مما سبق أن الإمالة مرحلة وسطى بين الفتحة والكسرة، ولا فرق بين الفتح والإمالة إلا فى وضع اللسان، إذ هو مع «الفتح يكاد يكون مستوياً فى قاع الفمّ، فإذا أخذ فى الصعود نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذى يسمى عادة بالكسرة، طويلة كانت أو قصيرة. فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة وإمالة شديدة.

وهكذا نرى أن الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلا اختلافاً فى وضع اللسان مع كل منهما حين النطق بهذين الصوتين، واللسان فى حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه فى حالة ا لفتح»[١].

معنى هذا أن الإمالة لا تُعطى اللفظ الممال حقه من النغم الخاص به، إذ هى جنوح بالألف نحو الياء، أى ليست ألفاً خالصة، بل يكون مخرجها بين مخرج الألف ومخرج الياء. وهذا العمل لا يُستغرب من القبائل البدوية، وإنما يُستغرب العكس؛ لأن تحقيق جميع أصوات اللفظ وإعطاءها حقها من النغم طور نهائى فى صقل اللغة واستكمال أدواتها، وهو أجدر بأن يكون من خصائص اللغة الأدبية المصطفاة، لا من وظيفة لغة طائفة من البدو الرحل تلك اللغة التى هى عرضة للتغير والتأثر تبعاً لتنقلات أصحابها الذين لا يستقرون فى مكان»[٢].

وقد ذكر القدماء من علمائنا أسباب الإمالة، وحصروها فى ستة أسباب، يمكن بيانها على النحو التالى:

---

(١) فى اللهجات العربية ٦٤ ـ ٦٥.

(٢) دراسات فى فقه اللغة ١٠١.

١ ـ أن يكون قبل الألف أو بعدها كسرة، نحو: شِملالٍ، وسِريالٍ، وعالِمٍ، وعابِدٍ.

٢ ـ أن يكون قبل الألف ياء، نحو شَيْبان، وقيس عَيْلان.

٣ ـ أن تكون الألف منقلبة عن ياء، نحو: باعُ، وسَعَى، ورَقَى.

٤ ـ أن تكون الألف فى حكم المنقلبة عن الياء، نحو: حُبلى، وملهى، وسُكارى.

ويلاحظ أن الألف التى تمال هى:

أ ـ كل ألف رابعة ـ زائدة كانت، أو منقلبة عن ياء أو واو.

ب ـ كل ألف ثالثة، منقلبة عن ياء، لا عن واو.

جـ ـ الألف الثالثة فى الفعل وإن كانت منقلبة عن واو، نحو: غزا.

٥ ـ أن ينكسر ما قبل الألف فى حال، نحو: خاف، وصار، فتميل الألف؛ لأنك تقول: خِفْتُ، وصِرْتُ.

٦ ـ الإمالة للإمالة، كقولك: رأيتَ عِماداً، فتُميل الألف التى بعد الدال لإمالة الألف التى قبلها(١).

ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس والدكتور/ رمضان عبدالتواب، وأوافقهما على ذلك، أن الإمالة التى يُعبر عنها بالكسرة الممالة (ē) إنما هى تطور عن الصوت المركب Diphthong الذى هو عبارة عن الصوتين (aw) والذى تطور إلى (ō) و(ay) والذى تطور إلى (ē) ويريان أن هذه المرحلة هى المرحلة الثانية من مراحل تطور هذا الصوت المركب، وقد وقفت

---

(١) التتمة فى التصريف ٢٦١ ـ ٢٦٣.

القبائل البدوية عندها، ولم تتطور على ألسنتهم إلى الفتح الخالص (a) كما عند الحجازيين(١).

والدليل على أصالة الإمالة وأن العربية ليست بدعاً فى ذلك وجودها فى اللغة الحبشية، إذ هذه المرحلة الثانية (ē) و(ō) هى الشائعة فى الأفعال الجوفاء، فى مثل: ቆመ qōma قام و ሖረ hōrā حمل و ጾረ ṣōra هذب و ኮነ kōna كان (فى الواوى).

وكذلك: ሤመ šəma وضع و ቤተ bēta بات و ኬደ kēda دخل و ሤጠ šēṭa باع (فى اليائى)(٢).

أما المرحلة الأخيرة فى تطور الأصوات المركبة، فهى إخلاص الفتح، أى تطور الإمالة (ō) و(ē) إلى (ā)

aw > ō > ā / ay > ē > ā

وهذه المرحلة أصيلة، ودليل ذلك وجودها فى جميع الأفعال الجوفاء والناقصة فى العبرية والآرامية.

فمن أمثلة الأفعال الجوفاء: שָׁת šāṯ وضع و רָם rām ارتفع و גָּר gār سكن (فى العبرية) و ܩܳܡ qām أجاب و ܚܳܛ ḥāṭ خاط و ܣܳܡ sām وضع (فى الآرامية).

ومن أمثلة الأفعال الناقصة: עָנָה ʿānā قام و גָּלָה gālā جلا (فى العبرية) و ܪܡܳܐ rmā رمى و ܒܢܳܐ bnā بنى و ܩܪܳܐ qrā دعا/ سمى (فى الآرامية)(٣).

---

(١) فى اللهجات العربية ٩٠ ـ ٩١ وبحوث ومقالات فى اللغة ٢٤٨.

(٢) فى قواعد الساميات ٣٣٤.

(٣) بحوث ومقالات فى اللغة ٦٤ ـ ٦٥.

وهذه المرحلة التى هى آخر المراحل هى أرقى ما وصلت إليه العربية الفصحى على ألسنة الحجازيين وغيرهم من قبائل غربى الجزيرة العربية، والفتح هنا ـ كما يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس ـ ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد فى الجهد العضلى والميل إلى السهولة التى يلجأ إليها الإنسان فى معظم ظواهره الاجتماعية(١).

وفيما يلى استعراض ما نسب من إمالة لقبائل قيس وتميم وأسد.

١ـ (زادهم)

قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ البقرة/١٠.

«قرأ بالإمالة حمزة وابن عامر وابن ذكوان ونافع والحلوانى والأعمش وهشام بخلاف عنه (فزِادهم). والإمالة لتميم والتفخيم للحجاز»(٢).

وسبب الإمالة هنا راجع إلى أن الألف هنا منقلبة عن ياء، إذ أصل: زاد (زَيَدَ) الذى صار بعد ذلك (زَيْدَ) بتسكين الياء ونشوء الصوت المركب (ay) ثم تحول إلى (Zēda زِاد) وأخيراً الفتح الخالص (زَادَ Zāda).

٢ـ (آذانهم)

قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ البقرة/١٩.

«أمال الألف الثانية الدورى عن الكسائى. والإمالة لغة تميم وقيس وأسد»(٣).

---

(١) فى اللهجات العربية ٦٧.
(٢) معجم القراءات ١/٤٣.
(٣) السابق ١/٥٥.

وسبب الإمالة هنا راجع إلى أن ما بعد الألف الثانية هنا كسرة، كما أنها أى الألف رابعة وزائدة.

٣ـ (استوى) و(سواهُنَّ)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة/٢٩.

«(استوى) أهل الحجاز على الفتح، وأهل نجد على الإمالة، وقرئ فى السبعة بهما، فقد قرأ حمزة والكسائى وخلف بالإمالة».

«(فسواهن) فى هذا الفعل ما فى الفعل السابق (استوى) من الإمالة والفتح»(١).

وسبب الإمالة هنا راجع إلى أن الألف منقلبة عن ياء، فأصل (استوى) < اِستَوَيَ < اِسْتَوَيَ < اِسْتَوِى 'stawē < استوى 'stawā

وأصل (سَوَّاهُنَّ) سَوَّيَهُنَّ < سَوَّيَهُنَّ < سَوَّاهُنَّ sawwēhunna < سوَّاهنَّ sawwāhunna.

٥ـ المحافظة على الهمزة

تظهر نزعة التخلص من الهمزة فى اللهجات العربية الغربية، ويشاركها فى ذلك من اللغات السامية الآرامية، أما فى اللهجات العربية الشرقية فيظهر فيها شدة المحافظة عليها، ويُشاركها فى ذلك من اللغات السامية الأوجريتية، غير أنه يُلاحظ أن فيها حالات تخلصت فيها من

---

(١) السابق ١/٧١.

الهمزة، كما فى (يُفْعِلُ) مضارع (أفعل) المتعدى بالهمزة، وأصل المضارع (يُؤَفْعِلُ) وكذلك لفظ الجلالة (الله) وهو من (الإله)[1].

وفيما يلى الحديث عن بعض أحكام الهمزة فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها كما جاء فى القراءات القرآنية، مع ملاحظة أن هذه الأحكام نسبت إلى قبيلة تميم من قبائل وسط الجزيرة.

اولاً: الهمزة المفردة

١ـ الهمزة المتحركة بعد ساكن:

فيها اتجاهان عند تميم. **الاتجاه الأول: فى فعل الأمر من مهموز العين**، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ البقرة/ ٢١١.

فى كلمة (سَلْ) قراءتان:

الأولى: عدم حذف الهمزة (اسْأَلْ) وهى قراءة أبى عمرو فى رواية ابن عباس. وهى لغة لبعض تميم.

الثانية: بحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى السين الساكنة، وعدم حذف همزة الوصل (اسَلْ) وهى قراءة قوم، وأصله (اسْأَلْ) فنقل حركة الهمزة إلى السين، وحذف الهمزة التى هى عين ولم تحذف همزة الوصل؛ لأنه لم يِعتدّ بحركة السين لعروضها، وهى لغة لبعض تميم»[2].

والقراءة الثانية التى خففت فيها الهمزة شبيهة بما حدث للأمر من هذا الفعل عند الحجازيين وغيرهم، وتخالفهم فقط فى عدم حذف همزة

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة ٢٣٦.

(٢) معجم القراءات ١/٢٨٨.

الوصل، والسبب في عدم حذف همزة الوصل عند تميم أنه لم يعتد بالحركة المنقولة إلى السين لأنها حركة عارضة، فكأن السين هنا ساكنة تقديراً، أما الحجازيون وغيرهم فحذفوها وذلك لاعتدادهم بتلك الحركة وإن كانت عارضة. اسْأَل < اسَأَلْ < اسَلْ (عند تميم).

اسْأَلْ < اسَأَلْ < اسَلْ < سَلْ (عند الحجازيين).

الاتجاه الثاني: في مضارع راى (يَرْأَى)

يُبقى على الهمزة المتحركة بعد ساكن في مضارع رأى (يَرْأَى) والهمزة هنا في موضع العين. مثال ذلك: قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ الفيل/١.

«قرأ السُّلَمِيّ (تَرْأَ) بهمزة مفتوحة وسكون الراء على الأصل. وهى لغة تميم»[١].

الأصل: (تَرْأَى) ثم حذفت الألف الأخيرة بسبب الجزم لأن المعتل الآخر إذا جزم حذف حرف العلة ـ هذا هو تعبير القدماء ـ أما التفسير الصوتى لذلك فهو أن الألف هنا فتحة طويلة، وأن ما حدث هنا هو تقصير هذه الفتحة الطويلة.

ء ـَ ل ـَ م   ت ـَ رء ـَ ـَ < ء ـَ ل ـَ م   ت ـَ رء ـَ

وقد عد النحاة الإبقاء على الهمزة المتحركة بعد ساكن حملاً على لغة تميم من ضرورة الشعر، واستشهدوا لذلك بثلاثة شواهد: هى:

١ ـ أُرِى عَيْنَىَّ ما لم تَرْأَيَاهُ   كِلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ

---

(١) معجم القراءات ١٠/٥٨٨.

٢ ـ ثُمَّ اسْتَمَرَّ بها شَيْحان مُنْتَجِعٌ   بِالْبَيْنِ عنك بما يرآك شنآنا[١]

٣ـ ألم تَرْأَ ما لاقيتَ والدَّهرُ أَعْصُرٌ   ومنَ يَتَمَلَّ العيشَ يرْأى ويسمع[٢]

وهذا الأصل الذى حافظت عليه تميم حافظت عليه العبرية كذلك، فمضارع رأى (רָאָה rā'ā) هو: יִרְאֶה yir'e يرى[٣].

وهذا الأصل تغير على ألسنة الحجازيين، وعليه الفصحى كما فى الآية الكريمة السابقة، وذلك بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن الذى قبلها، مع ملاحظة أن أصل المضارع أن يكون مكسور العين لأن الماضى مفتوح، ثم تحولت إلى فتحة لأن العين حرف حلق.

يَرْئِى   يَرْأَى   يَرَى

ويرى ابن يعيش أن الهمزة حذفت وألقيت حركتها علي الساكن الذى قبلها أولاً فى المضارع المبدوء بهمزة المضارعة، وعلل ذلك بأن (أَرْأَى) قد اجتمع فيه همزتان بينها ساكن، والساكن حاجز غير حصين، فحذفت الثانية على حد حذفها فى (أُكْرِم) ثم حمل عليه صور المضارع الأخرى المبدوءة بالتاء والياء والنون وإن لم تلتق همزتان بينهما ساكن، وذلك طرداً للباب على وتيرة واحدة، فالحذف هنا سببه كثرة الاستعمال.

ثم يرى كذلك أن حذف الهمزة هنا يمكن أن يكون على سبيل التخفيف القياسى ، أى قياسها على حذفها وإلقاء حركتها على الساكن الذى

---

(١) شرح المفصل ٩/ ١١٠.

(٢) شرح مختصر التصريف العربى ١٧٩.

(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة ٢٣٦.

قبلها كما فى قراءة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون/١(١) وكذلك كما فى قراءة قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ النمل/٢٥(٢).

٢ـ الهمزة الساكنة بعد متحرك:

فيها اتجاهان عند تميم:

الاتجاه الأول: الإبقاء عليها، مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يوسف/١١.

«روى عن يحيى بن وثاب وأبى زُرين والمطوعى (لا تِئْمنا) بكسر أوله مع بقاء الهمزة، وهى لغة تميم»(٣).

يلاحظ فى هذه القراءة شيئان: أولهما: كسر حرف المضارعة (التاء) وهو اتجاه تميم ومعها كثير من اللهجات العربية من شرقى الجزيرة ووسطها وغربيها باستثناء الحجازيين، منهم يفتحون، وقد عالجنا ذلك عند حديثنا عن كسر حروف المضارعة.

والثانى: أن الهمزة هنا بقيت لم تسهل، وهذا أحد اتجاهين عند تميم. وهذا الاتجاه هو الأصل.

الاتجاه الثانى: تسهيلها بإبدالها حرفاً من جنس حركة ما قبلها

ويمكن التمثيل لذلك بالقراءة الثانية لكلمة (لا تأمنا) فى الآية السابقة، فقد «قرأ ابن وثاب وأبو رُزَيْن وكذا الأعمش رواية وعبدالله بن

---

(١) قرأ بذلك مدش عن نافه (قَدَ افلح) بنقل حركة الهمزة إلى الدال الساكنة تميلها ثم حذفها، وقرأ بذلك أيضاً ابن ذكوان وحفص وإدريس. معجم القراءات ٦/١٥١.

(٢) شرح المفصل ٩/١١٠ وهذه القراءة لأبى وعيسى وعكرمة ومالك بن دينار (الخب) بنقل حركة الهمزة إلى الباء الساكنة قبلها ثم حذفها. معجم القراءات ٦/٥٠٧.

(٣) معجم القراءات ٤/١٩٢.

مسعود (لا تِيَمنا) بكسر حرف المضارعة، وتسهيل الهمزة وهى تخالف المصحف. وهى لغة تميم»[1].

يرى القدماء أن الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ـ كما فى «تأْمَنا) ـ تُبدل حرفاً من جنس ما قبلها، فتبدل ألفاً إذا فتح ما قبلها، كما فى نحو: رأْس، وبأْس، وقرَأت، فتصير: راس وباس، وقرات. وتبدل واواً إذا انضم ما قبلها كما فى نحو: الجُؤْنة والبُؤْس والمؤْمن، فتصير: الجُونة والبُوس، والمُومن. وتبدل ياء إذا انكسر ما قبلها، كما فى نحو: الذِّئْب والمِئْرة، فيصران: الذِّيب والمِيرة[2].

وأرى أن ما حدث فى كلمة (لا تِيمنَّا) السابقة وما شابهها من الكلمات السابقة المسهلة التى ذكرها سيبويه، أن الهمزة الساكنة لم تبدل فيها حرفاً من جنس حركة ما قبلها، بل حذفت وأُطيلت الحركة السابقة عليها. فلما كسر حرف المضارعة (التاء) سُهلت الهمزة بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها، فصارت كسرة طويلة:

ل ـَ ـِ ت ـَ ـِ ء م ـَ ن ن ـَ ـَ < ل ـَ ـَ ت ـِ ءْ م ـَ ن ن ـَ ـَ < ل ـَ ـَ
ت ـِ ـِ م ـَ ن ن ـَ ـَ

والتسهيل هذا مرحلة متأخرة، ويبدو أن من سهل الهمزة من التميميين هنا متأثر بلهجة أهل الحجاز؛ لأنهم لا يحققون الهمزة.

ثانيا: التقاء الهمزتين

التقاء الهمزتين فى كلمة واحدة فى موضع العينين جائز، كما فى نحو: سَأّل، وجَأّر، أما التقاؤهما غير عينين فشاذ عند ابن جنى، ولذلك عد قراءة الكسائى ﴿ أئمة ﴾ التوبة/١٢ شاذة.

---

(١) السابق ٤/١٩٢.

(٢) الكتاب ٣/٥٤٣ ـ ٥٤٤.

ويري أنهما فى كلمتين ضعيف وليس لحناً، نحو: قرأ أبوك، وقوله تعالى ﴿السفهاء ألا﴾ البقرة/١٣، وقوله تعالي: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض﴾ الحج/٦٥ وقوله تعالى: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾(١).

وقد نسب فى القراءات القرآنية إلى تميم التقاؤهما فى كلمتين، وهاتان الهمزتان متحركتان، ولهم فيها اتجاهان:

الاتجاه الأول: تحقيقهما.

مثال ذلك (أأنذرتهم) فى قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ البقرة/٦.

«قرأ عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر وابن ذكوان وهشام وروح وخلف والحسن وابن عباس والأعمش وابن أبى إسحاق بتحقيق الهمزتين (أأنذرتهم) وهى لغة تميم»(٢).

فالهمزة الأولى للاستفهام، والثانية فى الفعل وهى حرف مزيد، والفعل على وزن (أفعل).

الاتجاه الثانى: تحقيقهما مع إقحام ألف بينهما.

مثال ذلك (أإذا) و(أإنا) فى قوله تعالى: ﴿وإن تعجب فعجبٌ قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد﴾ الرعد/٥.

«أإذا. قرأ هشام بتحقيق الهمزتين مع إدخال ألف بينهما (آإذا) وهى عن بنى تميم...

(أإنا) هشام يحقق الهمزتين ويدخل بينهما ألفاً بخلاف عنه، وهى رواية بعض أصحاب ابن عامر عنه (آإنا) وهى لغة تميم»(٣).

ويرى ابن يعيش نقلاً عن سيبويه أن إقحام ألف بين الهمزتين يعود إلى كراهتيهم التقاء همزتين. أما أهل الحجاز فخففوا الثانية بجعلها بين

(١) الخصائص ١٤٣/٣.
(٢) معجم القراءات ٣٥/١.
(٣) السابق ٣٨٤/٤.

بين بعد إقحام الألف لأنهم يكرهون الهمزة المفردة، وكراهية أشد عند التقاء الهمزتين. يقول ابن يعيش:

«قال سيبويه: «ومن العرب ناس يُدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً».

وذلك لأنهم كرهوا التقاء الهمزتين، ففصلوا بينهما بألف كما قالوا: أخشينان، ففصلوا بألف بين النونات، كراهيمة التقاء هذه الحروف المضاعفة، فأما قول الشاعر:

فياظبية الوعساءِ بين جُلاجِلٍ وبين النَّقَا آأنت أمْ أمُّ سالمِ

البيت لذى الرمة، والشاهد فيه إدخال الألف بين الهمزتين من قوله (آأنت) كراهية اجتماع الهمزتين كما دخلت بين النونان فى قولهم: (اضربنان) كراهية اجتماعهما.

وأما البيت الآخر وهو:

حُزَّنَ إذا ما القومُ أبدَوْا فُكاهَةً تفكَّرَ آإيَّاهُ يَعْنُونَ أم قِرْدا

أنشده أبو زيد فى نوادره، قال أنشدناه الأعراب، وأنشده الجوهرى فى كتابه، والشاهد فيه قوله (آإياه) بإدخال الألف بين همزة الاستفهام وبين الهمزة التى هى فاء.

وقد قرأ ابن عامر: أأنذرتهم أم لم تُنْذِرْهُم» وكذلك «آإنك لأنت يوسف» ثم بعد دخول ألف الفصل منهم من يحقق الهمزتين وهم بنو تميم، ومنهم من يخفف الثانية، وهم أهل الحجاز، وهو اختيار أبى عمرو»[1].

والألف التى بين الهمزتين فيما سبق ليست مقحمة كما ذكر ابن يعيش نقلاً عن سيبويه، وإنما هى مد لحركة الهمزة الأولى وهى الفتحة القصيرة[2].

---

(١) شرح المفصل ٩/١١٩ ـ ١٢٠.
(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة ٢٣٧.

٦ ـ المعاقبة بين الكسرة والضمة

تؤثر لهجات وسط الجزيرة العربية، مثل: تميم وقيس وأسد وبعض اللهجات من شرقيها مثل بكسر الضمة على الكسرة فى الكلمات التى تستعمل فى لغة الحجاز مكسورة، أما إذا كانت الكلمة فى لغة الحجاز مضمومة فإن قيساً تبدلها كسرة، وهذا واضح من خلال القراءات القرآنية التى يتضح فيها المعاقبة بين الكسرة والضمة.

ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أن السر فى ميل القبائل البدوية بشكل عام إلى الضم فى مقابل الكسر عند الحجازيين إلى أن الضمة تعد مظهراً من مظاهر الخشونة البدوية، والكسرة والضمة متشابهتان من الناحية الصوتية؛ لأنهما من أصوات العلة الضيقة، ونظراً لتشابههما نجد أن إحداهما تحل محل الأخرى، غير أنه يُلاحظ أن الكسرة دليل التحضر والرِّقة، بدليل أنها حركة للمؤنث، والتأنيث عادة هو محل الرقة أو ضعف الأنوثة، والحضرى أميل بوجه عام إلى هذا، كما أن الياء التى هى فرع عن الكسرة تُعد العلامة الأساسية للتصغير فى اللغة العربية[١].

ويرى الدكتور/ أنيس أنه ليس قصر الكسرة على أهل الحضر والضمة على أهل البادية أن أهل البادية لم يستعملوا الكسرة، وإنما معناه أن الكلمة لو رُويت بروايتين إحداهما بالكسر والأخرى بالضم رجحنا أن المشتملة على الضم تنتمى إلى بيئة بدوية، وأن المشتملة على الكسرة صيغة حضرية، كما نرجح أن الصيغتين كانتا تستعملان فى زمن واحد وفى مكانين مختلفين،

---

(١) ربما يكون السبب فى ذلك أنها أخف من الضمة، وهذا يتفق مع طبيعة أهل الحضر، يقول سيبويه: إن الكسرة أخف عليهم من الضمة، ألا ترى أن فعل أكثر فى الكلام فعل والياء أخف عليهم من الواو وأكثر، الكتاب ٤/٣٧.

فليست إحداهما أصل والأخرى فرع عنها، أو أن إحداهما تطور عن الأخرى، بل إن الصيغتين وجدتا معاً وعاشتا فى عصور ما قبل الإسلام.

كما يرى أن إيثار البدويين للضمة على الكسرة مما يدل على طبيعتهم التى تتسم بالخشونة، ذلك أن الضمة فى نطقها تحتاج إلى جهد عضلى أكثر من الكسرة فى نطقها؛ لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان، فى حين أن الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان، ولا شك أن تحرك أدنى السان أيسر من تحرك أقصاه، ولذلك تمسك البدو بالضمة، لأنهم أدركوا أنها تميزهم عن غيرهم، مع أن شيوع الكسرة كان أمراً متوقعاً عندهم[1]، حيث يميلون إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، وبذل أقل جهد ممكن فى أثناء النطق متى تحقق الناطق منهم أن مثل هذا الجهد سيحقق له الهدف من الكلام.

وراح الدكتور أنيس يُعدد الأمثلة الكثيرة التى تدل على وجهة نظره السابقة، ومنها:

١ ـ بعض من فزارة يقولون: كسايان بدلاً من: كساوان، وفزارة من غطفان، تلك القبيلة التى عاشت بالقرب من الحجاز، وربما قد تأثرت بما شاع فيه.

٢ ـ كلمة (حيث) رويت فى صورة أخرى هى (حوث) ونسبت هذه الصورة الأخيرة لقبيلة طيء وقيل تميم، وكلاهما من القبائل البدوية التى آثرت الضم فى كثير من الصيغ.

---

(١) لأن الكسر شائع فى ظواهر صوتية كثيرة؛ منها: الإتباع والإمالة وكسر حروف المضارعة. لهجة تميم ١٣٩.

٣ ـ يقال: (ما أُعيج به) أى: ما أعبأ به. ولكن بنى أسد كانوا يقولون (ما أعوج).

٤ ـ حكي عن بنى سليم، وهم من القبادل الحجازية أنهم كانوا يقولون: (مِنْذُ) بكسر الميم فى: مُنذُ.

٥ ـ (مكيل) اسم المفعول م كال يكيل، وينطق به بنو أسد (مكول).

٦ ـ المشهور هو (نما ينمو) ولكن حكى عن بنى سليم أنهم قالوا (ينمى) وسُئل جماعة من بنى سليم عن الواوى فلم يعرفوه.

٧ ـ المشهور الشائع فى اسم الموصول لجمع المذكر هو (الذين) وقد رُوى لهذه الصيغة نظير هو (اللذون) وينسبه بعض الرواة لهذيل، وبعضهم ينسبه لعقيل[1].

وفيما يلى استعراض ما يُشير إلى ظاهرة المعاقبة بين الكسرة والضمة من القراءات القرآنية.

١ـ إبدال الكسرة ضمة عند تميم وقيس وأسد وبكر:

١ ـ (قِثائها)، قال تعالى: ﴿وإذْ قُلْتُمْ يا موسىٰ لَن نَّصْبِرَ علىٰ طعامٍ واحدٍ فادْعُ لنا ربَّكَ يُخْرِجْ لنا ممَّا تُنبِتُ الأرْضُ مِنْ بَقْلِها وقِثَّائِها وفُومِها وعدسِها وبصلِها﴾ البقرة/٦١.

«قرأ يحيى بن وثاب وطلحة بن مُصرِّف وابن مسعود والأشهب والأعمش وأبو رجاء وقتادة (قُثائها) بضم القاف. وهى لغة تميم وبعض بنى أسد»[2].

---

(١) انظر فيما سبق فى اللهجات العربية ٩١ ـ ٩٨.

(٢) معجم القراءات ١/١١٢.

٢ ـ (رِضوان)

قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ آل عمران/١٥.

«قرأ أبو بكر عن عاصم والأعشى والبرجمى ويحيى وحماد والحسن (رُضوان) بضم الراء. وهى لغة قيس وتميم وبكر»[1].

كما وردت كلمة (رضوان) كذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ التوبة/٧٢.

«قرأ أبو بكر عن عاصم والحسن (رُضوان) بضم فسكون. وهى لغة قيس وتميم»[2].

٣ ـ (قِنوان)

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ الأنعام/٩٩.

«قرأ الأعمش والخفاف عن أبى عمرو والمطوعى والأعرج فى رواية والسلمى عن على بن أبى طالب وعبدالوهاب عن أبى عمرو أيضاً (قُنوان) بضم القاف، مثل: ذِئب وذُؤبان. وهى لغة قيس وتميم»[3].

٤ ـ (مِرية)

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ هود/١٧.

---

(١) السابق ١/٤٥٨.

(٢) السابق ٣/٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٣) السابق ٢/٤٩٩.

«قرأ السلمى وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسى وعلى والحسن وقتادة (مُرية) بضم الميم، وهى لغة أسد وتميم»(١).

كما وردت الكلمة السابقة فى قوله تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ الحج/٥٥.

«قرأ أبو عبدالرحمن السلمى ويونس وعدىّ كلاهما عن أبى عمرو (مُرية) بضم الميم، وهى لغة أسد وتميم»(٢).

٧ ـ إشمام حركة فاء الأجوف المبنى للمجهول من الماضي الضم

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبائل قيس وعقيل ومن جاورهم، وأسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إشمام حركة فاء الأجوف من الماضى المبنى للمجهول، وهى الكسرة، الضم.

وقبل أن نستعرض ما يشير إلى ذلك من القراءات القرآنية نقف أمام تعريف الإشمام. يقول الرضى عنه:

«الإشمام: تصوير الضم عند حذف الحركة بالصورة التى تعرض عند التلفظ بتلك الحركة بلا حركة ظاهرة ولا خفية، وعلامته نقطة بين يدى الحرف، لأنه أضعف من الروم، إذ لا يُنطق فيه بشىء من الحركة، بخلاف الروم، والنقطة أقل من الحرف.

وعزا بعضهم إلى الكوفيين تجويز الإشمام فى المجرور والمكسور أيضاً والظاهر أنه وهم؛ لم يجوزه أحد من النحاة إلا فى المرفوع والمضموم؛ لأن آلة الضمة الشفة، وقصدك بالإشمام تصوير مخرج الحركة للناظر

---

(١) السابق ٤/٢٧.

(٢) السابق ٦/١٣٤.

بالصورة التى يتصور ذلك المخرج بها عند النطق بتلك الحركة؛ ليستدل بذلك على أن تلك الحركة هى الساقطة دون غيرها، والشفتان بارزتان لعينه، فيدرك نظره ضمهما، وأما الكسرة فهى جزء الياء التى مخرجها وسط اللسان، والفتحة جزء الألف التى مخرجها الحلق، وهما محجوبان بالشفتين والسن، فلا يمكن المخاطب إدراك تهيئة المخرجين للحركتين»[1].

يفهم من الكلام الرضى ما يأتى:

١ ـ الإشمام لا يكون إلا فى المضموم (أى على الحرف الذى أصل حركته الضمة، وليس هذا الحرف حرف إعراب) والمرفوع (أى على حرف الإعراب الذى كانت حركته ضمة وقد حذفت).

٢ ـ معنى الإشمام: اتخاذ الشفتين شكل النطق بالضمة دون التلفظ بها، وهذا الشكل عبارة عن استدارة الشفتين، وهذا العمل يدركه المبصر دون غيره لأنه غير ملفوظ به.

٣ ـ لا يجوز الإشمام فى المكسور والمجرور، ولا فى المفتوح والمنصوب؛ لأن مخرجهما داخل الفم، فلا يمكن للناظر إدراك تهيئة المخرجين لهاتين الحركتين، كما هو الحال فى استدارة الشفتين عند النطق بإشمام الضمة.

ـ ومن أمثلة الإشمام فى المرفوع، قول الراجز:

متى لا أنام لا يُؤَرِّقنى الكرى ليلاً ولا أسمع أجراسَ المطىْ

ويقول ابن جنى تعليقاً على كلمة (يُؤَرِّقْنِى):

«بإشمام القاف من (يُؤَرِّقْنِى) ومعلوم أن الإشمام إنما هو للعين لا للأذن، وليست هناك حركة البتة، ولو كانت فيه حركة لكسرت الوزن،

---

(١) شرح الشافية ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦.

ألاترى أن الوزن من الرجز، ولو اعتدّت القاف متحركة لصار من الكامل. فإذا قنعوا من الحركة بأن يومئوا إليها بالآلة التى من عادتها أن تُستعمل فى النطق بها، من غير أن يُخرجوا إلى حسّ السمع شيئاً من الحركة مشبعة ولا مختلسة، أعنى إعمالهم الشفتين للإشمام فى المرفوع بغير صوت يسمع هناك، لم يبق وراء ذلك شىء يستدل به على عنايتهم بهذا الأمر؛ ألا ترى إلى مصارفتهم أنفسهم فى الحركة على قلتها ولطفها، حتى يُخرجوها تارة مختلسة غير مشبعة، وأخرى مشمة للعين لا الأذن»(١).

- ومن أمثلة إشمام حركة فاء الأجوف المبنى للمجهول من الماضى: خِيفَ، وقِيلَ، وبِيعَ

يرى العلماء القدامى أن الأصل فى الكلمات السابقة هو:

خُوِفَ، وقُوِلَ، وبُيِعَ، على زنة ضُرِبَ، ثم حدث لها ما يأتى:

١ - أعلت العين - حملاً على إعلالها بالقلب ألفاً فى المبنى للمعلوم منها: خاف، وقال، وباع - وذلك بنقل حركتها وهى الكسرة إلى الفاء مع حذف حركة الفاء وهى الضمة، فصارت خِوْفَ، وقِوْلَ، وبِيْعَ.

٢- قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وبقيت العين فى بيع على حالها،، فصارت خِيفَ، وقِيلَ، وبِيعَ.

٣ - تشم حركة الفاء - عند من أشمّ من القبائل العربية من أمثال قيس وعقيل وأسد - وذلك باستدارة الشفتين كما هو حالها عند النطق بالضمة، دون التلفظ بها، والهدف من ذلك هو التنبيه

---

(١) الخصائص ٢/٣٢٨.

على أن الحركة الأصلية فى الفاء هى الضمة لا الكسرة، فكأن حركة الفاء صارت بين الضمة والكسرة[1].

ـ ورأى أن ما حدث لأصل الكلمات الثلاثة السابقة (خُوِفَ ـ قُوِلَ ـ بُيِعَ) هو:

١ ـ تماثلت حركة الفاء وهى الضمة مع حركة ا لعين وهى الكسرة فقلبت كسرة مثلها (مماثلة رجعية regressive) فصارت: خِوِفَ ـ قِوِلَ ـ بِيِعَ.

٢ ـ حذفت الواو والياء لوقوعهما بين حركتين متماثلتين.

٣ ـ بعد الحذف تلتقى حركتان قصيرتان متماثلتان، فتتحولان إلى حركة طويلة آ> ii.

٤ـ بعد ذلك يكون الإتمام كما مر.

خ ـُ و ـِ ف ـَ/ ق ـُ و ـِ ل ـَ/ ب ـُ ى ـِ ع ـَ > خ ـِ و ـِ ف ـَ/ ق ـِ و ـِ ل ـَ/ ب ـِ ى ـِ ع ـَ > خ ـِ × ـِ ف ـَ/ ق ـِ × ـِ ل ـَ/ ب ـِ × ـِ ع ـَ > خ ـِ ـِ ف ـَ/ ق ـِ ـِ ل ـَ/ ب ـِ ـِ ع ـَ

وهذا التحليل ليس فيه إعلال بنقل حركة العين إلى الفاء ولا إعلال بقلب الواو ياءً كما فى تحليل القدماء.

ـ وفيما يلى استعراض ما ورد من أمثلة من القراءات القرآنية فيها إشمام فى حركة فاء الأجوف، منسوبة إلى القبائل الثلاثة السابقة:

١ ـ (قِيلَ) فى موضعين:

الأول: فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة/١١.

---

(١) انظر فى ذلك: المنصف ١/٢٤٩ وشرح المفصل ١٠/٧٤.

«قرأ بإشمام الكسرة الضم وبياء بعدها (قُيل) هشام والكسائي ورُوَيْس والحسن والشنبوذي ونافع وأبو جعفر وابن محيصن وابن عامر. وهي لغة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد»(١).

والثاني: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ يونس/٥٢.

«قرأ بإشمام الكسرة الضم هشام والكسائي ورُوَيْس والحسن والشنبوذي (قُيل) وهي لغة قيس وعقيل»(٢).

٢- (حِيلَ) في قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ سبأ/ ٥٤.

«قرأ ابن عامر والكسائي وهشام ويعقوب برواية رويس، وكذا ابن ذكوان والحسن والشنبوذي (حُيل) بالإشمام، أي تشم الكسر الضم، فتكون حركة الحاء بين الحركتين، وهي لغة قيس وعقيل»(٣).

٣ ـ (سِيئَتْ) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ الملك/٢٧.

«قرأ بإشمام كسر السين الضم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وابن ذكوان وهشام وطلحة وابن محيصن ورُوَيْس والحسن والشنبوذي وابن عامر ونافع والكسائي. وهي لغة قيس وعقيل ومن جاورهم»(٤).

---

(١) معجم القراءات ٤٢/١ ـ ٤٥.

(٢) السابق ٥٦٨/٣. كما وردت كلمة (قِيل) كذلك للقراء: الكسائي وهشام ورويس دون نسبة للقبائل الثلاثة السابقة. انظر معم القراءات ١٠٨/١ ـ ٥٣١/٩ ـ ١٨/١٠.

(٣) السابق ٤٠٠/٧.

(٤) السابق ١٧/١٠.

٨ ـ إدغام العين في اللام في حالتي الجزم والأمر

نسب فى القراءات إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إدغام العين فى اللام فى الفعل المضعف، وذلك فى حالتى الجزم والأمر. أما أهل الحجاز فإنهم يلتزمون فى الحالين فك الإدغام.

فُهم يقولون فى المجزوم من هذه الأفعال: لم يَغُضَّ، ولم يفرِّ، ولا تَغُضَّ. والأصل: لم يَغْضُضْ، ولم يَفْرِرْ، ولا تَغْضُضْ. فأدغم المثل الأول فى الثانى بعد نقل حركته إلى الساكن الذى قبله، وتحريك المثل الثانى لالتقاء الساكنين، لأنه لا يجوز إدغام ساكن فى ساكن، وكانت الحركة الفتحة لخفتها(١).

وأما فى الأمر منها، فإنهم بعد الإدغام يجعلون المثل الثانى تابعاً فى حركته لحركة العين فى المضارع:

١ ـ فيقولون فيما كان على فعِل يفعَل من نحو: عَضَّ يعَضُّ: (عضَّ). بفتح الضاد الثانية على الإتباع لحركة العين فى المضارع، إذ الأصل: يَعْضَضُ. ويجوز: (عضِّ) بالكسر، على أصل الحركة عند التقاء الساكنين.

٢ ـ ويقولون فيما كان على فعَل يفعِل من نحو: فرَّ يفِرُّ: (فرِّ) بالكسرة، إتباعاً لحركة العين فى المضارع، إذ الأصل: يَفْرِرُ. ويجوز: (فرَّ) بالفتح، والفتح للتخفيف.

٣ ـ ويقولون فيما كان على فعَل يفعُل من نحو: عَدَّ يَعُدُّ: (عُدُّ) بالضم إتباعاً لحركة العين فى المضارع، إذ الأصل: يَعْدُدُ.

---

(١) شرح الملوكى ٤٥٤.

ويجوز: (عُدِّ) بالكسر، على أصل الحركة عند التقاء الساكنين، ويجوز كذلك: (عُدَّ) بالفتح، للتخفيف[1].

وقد أدغموا الأول في الثاني هنا ـ مع أنّ الثاني ساكن ـ تشبيهاً بالمعرب «من حيث إنه قد تتعاقب عليه الحركات لالتقاء الساكنين كما تتعاقب حركات الإعراب على المعرب، ألا ترى أنك تقول: ارْدُدِ ابنكَ، وارْدُدِ القومَ، ولا تَرْدُدَنَّ. قال تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الحجر/٨٨ وطه/١٣١ كأنهم نزلوا الحركة العارضة منزلة اللازمة في (يَشُدُّ) و(يَمُدُّ) فأدغم كإدغامه. وفي هذا أيضاً إسكان متحرك وتحريك ساكن على ما تقدم، إلا أنهم إذا أدغموا ذلك حركوا المدغم فيه لالتقاء الساكنين»[2].

أما أهل الحجاز فلا يرون الإدغام ويأيون بما سبق على الأصل. فيقولون في المجزوم: لم يَغْضُضْ، ولم يَفْرِرْ، ولا تَغْضُضْ، ولا تَفْرِرْ.

ويقولون في الأمر: اغْضُضْ، وافْرِرْ. فيأتون بهمزة وصل فيه[3]. لسكون الحرف الأول.

ويرجع السبب في عدم الإدغام عندهم أن الحرف الأخير ساكن، والإدغام لا يكون إلا في متحرك، لأجل ذلك أتوا به على الأصل[4].

ـ ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أن السر في التزام الحجازيين فك الإدغام والإتيان على الأصل أن الجزم عادة يترتب عليه نقل النبر من

---

(١) انظر فيما سبق: التتمة في التصريف ٢٠٤ وشرح الملوكي ٤٥٥ وشرح التصريف ٤٥١ـ٤٥٢.

(٢) شرح الملوكي ٤٥٤ وانظر كذلك شرح المفصل ١٢٧/٩.

(٣) شرح الملوكي ٤٥٤ وشرح التصريف ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

(٤) شرح الملوكي ٤٥٤.

موضعه إلى المقطع الذى قبله؛ لأن الجزم يختصر أواخر الكلمات، ففى قولنا: (يكتُب) نلحظ أن النبر يقع على المقطع (يَكـ) وعلى هذا كان من الواجب فى حالة جزم الفعل (يرُد) أن ينتقل النبر من المقطع (رُدْ) إلى المقطع (يـ) لتصبح الكلمة (لم يرُدْ). ولكن التباس هذا الوضع بوضع الفعل المعتل للعين والحرص على إظهار تضعيف الفعل جعل الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين: نقل النبر إلى الوراء وإظهار تضعيف الفعل. وهكذا جاء (لم يَرْدُدْ) ولهذا عادوا إلى الإدغام حين بقى النبر فى موضعه، مثل: (لم يردُّوا).

ثم يقول عن بنى تميم:

«أما بنو تميم فلم ينقلوا النبر فى لهجتهم بسبب الجزم وبهذا بقى الإدغام، فكانوا يقولون فى حالة الوقف: (لم يردّ) أما فى الوصل فكانوا يحركون الدال الثانية بحركة لالتقاء الساكنين، سواء أكانت تلك الحركة فتحة أو ضمة أو كسرة على اختلاف بين النحاة. وربما كان هذا من المواضع القليلة التى يُتخلص فيها من التقاء الساكنين بتحريك الثانى منهما».

ثم يقول بعد ذلك:

«نخلص من كل هذا إلى أن فك الإدغام عند الحجازيين فى مثل (لم يَرْدُدْ) ليس له سر سوى نقل النبر من موضعه، فلما جيء بالأمر من هذا الفعل كان من المعقول أن يأتى على هذا الوضع (ارْدُدْ) فى حين أن الأمر عند بنى تميم هو: (رُدَّ)»[1].

---

(١) فى اللهجات العربية ١٥٠ ـ ١٥١.

وفيما يلى استعرض ما جاء من أمثلة فى القراءات القرآنية دليلاً على التزام الإدغام عند تميم، مع ملاحظة أن هذه الأمثلة فى حالة الجزم:

١ــ (**لا تُضَارَّ**) فى قوله تعالى: ﴿لا تُضارَّ والدةٌ بولدها﴾ البقرة/٢٣٣.

«قرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر وابن جمّاز من طريق الهاشمى وعيسى من طريق ابن مهران (لا تُضارَّ والدةٌ) بفتح الراء، جعلوه نهياً، فسكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للإدغام، فالتقى ساكنان، فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التى قبل الراء لتجانس الألف والفتحة، وهذه القراءة المعروفة عن أهل الشام. ورجح الطبرى هذه القراءة.. والإدغام لغة تميم...

وقرأ ابن مسعود وأبان والضحاك وابن نبهان كلهم عن عاصم والحسن وعمر بن الخطاب (لا تُضَارَرْ) بفك الإدغام، وفتح الراء الأولى وسكون الثانية. وهى لغة الحجاز»[1].

ـ لا تُضَارَرْ > لا تُضارْرْ > لا تُضارَّ (عند تميم).

ولم يحدث للأصل (لا تُضارَرْ) أى شىء على لغة الحجازيين.

كما وردت كلمة (لا تُضارَّ) كذلك فى قوله تعالى: ﴿ولا يُضارَّ كاتبٌ ولا شهيدٌ﴾ البقرة/٢٨٢[2].

٢ ـ (**يُشَاقِقْ**) فى قوله تعالى: ﴿ومن يُشاقِقِ اللهَ ورسولَهُ فإنَّ اللهَ شديدُ العقاب﴾ الأنفال/١٣.

---

(١) معجم القراءات ١/٣٢٢ و٣٢٤ ـ ٣٢٥.
(٢) السابق ١/٤٢٢.

«أجمع القراء على الفك (يُشاقِقْ) إتباعاً لخط المصحف مثل لغة الحجاز. والإدغام لغة تميم»(١).

ـ يُشاقِقْ > يشاقْقْ > يُشَاقَّ.

٣ ـ (**لا تَقْصُصْ**) في قوله تعالى: ﴿يا بُنيَّ لا تَقْصُصْ رُءياك على إخْوتِك﴾ يوسف/٥.

«قرأ زيد بن علي (لا تَقُصَّ) مدغماً، وهي لغة تميم، وقراءة الجماعة (لا تَقْصُصْ) بالفك. وهي لغة الحجاز»(٢).

ـ لا تَقْصُصْ > لا تَقُصْصْ. بإسكان الصاد الأولى ونقل حركتها إلى القاف الساكنة > لا تَقُصَّ. بالإدغام وتحريك الصاد الثانية بالفتحة لخفتها.

٤ ـ (**ولْيُمْلِلْ**) في قوله تعالى: ﴿فليَكْتُبْ ولْيُملل الذي عليه الْحقُ﴾ البقرة/ ٢٨٢.

«قُرئ شاذاً (ولْيُمِلَّ) بالإدغام، وهي لغة تميم، والفك لغة الحجاز»(٣).

ـ ولْيُمْلِلْ > ولْيُمِلْلْ > ولْيُمِلَّ.

٥ ـ (**فَلا يغْرُرْكَ**) في قوله تعالى ﴿فلا يغْرُرْك تقلُّبهم في البلاد﴾ غافر/ ٤.

«قراءة الجمهور بالفك (فلا يَغْرُرْكَ) وهي لغة أهل الحجاز. وقرأ زيد ابن علي وعبيد بن عمير (فلا يَغُرَّك) بالإدغام مفتوح الراء. وهي لغة تميم»(٤).

ـ فلا يغْرُرْكَ > فلا يغُرْرْك > فلا يَغُرَّكَ.

---

(١) السابق ٣/ ٢٧٢.

(٢) السابق ٤/ ١٨٠.

(٣) السابق ١/ ٤١٤.

(٤) السابق ٨/ ٢٠٠.

٩ ـ حذف فاء المثال الذى على وزن افتعل

نسب فى القراءات القرآنية إلى تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، حذف فاء الفعل المعتل الأول الذى على وزن (افتعل) ويلاحظ أن حرف العلة هنا واو أو ياء وبعده تاء افتعل، فقلبت الواو أو الياء تاء، وهذه التاء ساكنة، فأدغمت فى تاء افتعل، فنقول مثلا: (اتَّقى) من الفعل المجرد (وقى) والأصل: (أوْتَقَى > اتْتَقَى > اتقَّى. ويقول كذلك (اتَّسَرَ) من الفعل المجرد (يسر) والأصل: ايْتَسَرَ > اتْتَسَرَ > اتَّسر.

وقد ورد حذف التاء الأولى التى هى فى موضع الفاء فى ثلاث كلمات، هى: يَتَّسِعُ، ويتّقى، ويتّخذ[1]. فقيل فيها: يَتَسِعُ، ويَتقِى، ويَتخِذْ. وسبب هذا الحذف كثرة الاستعمال، مع ذلك فهو شاذ[2].

وقد نُسب إلى تميم فى قراءة حذف التاء الأولى، وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَإن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة/ ٢٤.

جاء فى معجم القراءات: «هناك من قراء (فَتَقَوا) وهى لغة تميم»[3].

الأصل فى فعل الأمر هو: (فاوْتقُوا)، ثم قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء الثانية (فاتَّقُوا) ثم حذفت التاء الأولى التى هى فاء الفعل، ثم استغنى عن ألف الوصل لأنه ليس لها داعٍ، لأنه قد جيء بها لسكون التاء التى حذفت، أما وقد حذفت فكان لابد من حذفها معها، فصار الفعل (فَتَقُوا).

---

(١) يتّخذ م الماضى: اتَّخَذَ من مهموز الفاء المجرد (أَخَذَ) وأصله: اأْتَخَذَ، فقلبت الهمزة تاء حملاً على قلب الواو والياء تاء فى صيغة (افتعل)، ثم أدغمت التاء الأولى فى الثانية.

(٢) شرح الشافية ٣/٢٩٣.

(٣) معجم القراءات ١/٦٥.

١٠ ـ حذف إحدى الياءين من الفعل (استحيا يستحيى)

نسب فى القراءات القرآنية إلى تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، حذف إحدى الياءين من الفعل: استحيا يَسْتَحْيِى، فأصبح عندهم: اسْتَحَى يَسْتَحِى. وفما يلى بيان ذلك:

فى الفعل (استحيا) لغتان: الأولى: لغة أهل الحجاز: استحيا يستحيى ـ بياءين ـ فهو مستحى ومستحياً منه، على وزن: استرعى يسترعى.

واللغة الثانية: لغة تميم: استحى يستحى بتحريك الحاء، وحذف إحدى الياءين. وهناك مذهبان فى تفسير لغة تميم:

المذهب الأول للخليل: يقول الرضى: «فمذهب الخليل أنه مبنى على حيى معلاً إعلال هاب وباع، فكأنه قيل: حاى، فكما تقول فى باع: استبعت تقول فى حاى: استحيت، وإنما بنى على حاى المرفوض؛ لأن حق حيى إعلال عينه لما امتنع إعلال لامه، فاستحى على هذا فى الأصل استحاى كاستباع، حذفت حركة الياء؛ إذ لم يوجد فى كلامهم لام الماضى ياء متحركة ساكناً ما قبلها، التقى ساكنان؛ فحذفت أولاهما، ثم قلبت الياء الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها كما فى ياجل وطائى. وكذلك تقول فى المضارع: إن حقه يستحيى كتستبيع، حذفت حركة الياء؛ إذ لا نظير له فى الأفعال، ثم حذفت الياء الأولى للساكنين، والأمر منه: استح، وحق مصدره على هذا: استحاءة كاستباعة، ولا يستعمل، واسم الفاعل: مستحٍ، والأصل مستحيى، فأعل إعلال المضارع، والمفعول: مستحى منه، وأصله: مستحاى، حذفت حركة الياء كما فى: يستحاى، وأعل إعلال استحاى، وقد مر. وفيما ذهب إليه الخليل ضعف لا يخفى للارتكابات المكروهة»[1].

---

(١) شرح الشافية ١١٩/٣.

والمذهب الثانى: مذهب غير الخليل، واختاره المازنى. ويلاحظ فى هذا التفسير أن «الياء الأولى فى جميع هذه التصرفات حذفت كما فى أَحَسْتُ، وظِلْتُ، ومِسْتُ؛ لأن حق المثلين الإدغام، فلما امتنع حذفت الأولى، لكونه أشبه شيء بالإدغام. وقال المازنى: لو حذفت للساكنين لم تحذف فى المثنى نحو: استَحَيَا، ولقالوا: استَحَايا كاستَباعَا» .(١)

واتفق مع المذهب الثانى فى حذف الياء الأولى تخفيفاً، وذلك من باب كراهية توالى الأمثال، خاصة أن الإدغام لا يجوز هنا؛ لأنه لو حدث لأدى إلى التقاء الحاء وأول الياءين المدغمتين.

وبناء على هذا يصير الفعل الماضى بعد حذف الياء الأولى: (اسْتَحَيَ) ياء متحركة مسبوقة بساكن. وهنا أحد اتجاهين: الأول: تنقل حركة الياء إلى الحاء الساكنة (اسْتَحَيْ) فينتج الصوت المركب (ay) الذى يتحول بعد ذلك إلى فتحة طويلة (a).

(ا) س ت ـَ ح ى ـَ > (ا) س ت ـَ ح ـَ ى > (ا) س ت ـَ ح ـَ ـَ

والاتجاه الثانى هو أن الياء تتماثل مع حركتها فتتحول إلى فتحة قصيرة مثلها، فتلتقى حركتان متماثلتان، وينتج عنهما فتحة طويلة (a)

(ا) س ت ـَ ح ى ـَ > (ا) س ت ـَ ح ـَ ـَ

والأمر كذلك فى المضارع، حيث يصير بعد حذف الياء الأولى: (يَسْتَحْيُ) بياء متحركة بالضمة، وهى علامة الرفع، وهى لا تتفق مع الياء، فتتماثل معها، فتقلب كسرة، فيصبح الفعل: (يَسْتَحْيِ) وهنا أحد اتجاهين كما فى الماضى السابق:

---
(١) السابق.

الأول: تنقل حركة الياء إلى الساكن السابق (يَسْتَحِيْ) فينشأ الصوت المركب (iy) الذى يتحول بعد ذلك إلى كسرة طويلة (ا)

س ـَ س ت ـَ ح ى ـِ ى ـَ س ت ـَ ح ـِ ى س ـَ س ت ـَ ح ـِ ـِ

والثانى: تتماثل الياء مع حركتها، فتتحول إلى كسرة قصيرة مثلها، ثم تتحول الكسرتان إلى كسرة طويلة (ا).

ـ وقد ورد هذا الفعل منسوباً إلى لغة تميم فى موضع واحد فى القراءات القرآنية، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً مَّا بعوضة فما فوقها ﴾ البقرة/٢٦.

«قرأ ابن كثير فى رواية شبل وابن محيصن بخلاف عنه ويعقوب ومجاهد (يَسْتَحِى) بياء واحدة. وهى لغة تميم، يجرونها مجرى (يَسْتَبِى) والماضى (اسْتَبى). وقرأ الجمهور (يَسْتَحِيِى) بياءين والماضى (استحيا) وهى لغة أهل الحجاز»[1].

---

(١) معجم القراءات ١/٦٧.

١١ ـ الإبدال

تشيع فى لهجات وسط الجزيرة العربية ظاهر الإبدال، وتتنوع هذه الظاهرة فيما يأتى:

١ ـ إبدال السين صاداً.

٢ ـ إبدال السين زاياً.

٣ ـ إبدال الثاء فاء.

٤ ـ إبدال كاف المؤنث شيناً.

٥ ـ إبدال العين حاء.

وفيما يلى بيان ذلك:

١ ـ إبدال السين صاداً

نُسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة كلب، من قبل وسط الجزيرة العربية، إبدال السين صاداً، أى أنه ميل إلى تفخيم الأصوات المرققة.

وهذا الإبدال مشروط بوقوع السين قبل الغين أو الخاء أو القاف أو الطاء، سواء كان ذلك بالحوار كما فى نحو قوله تعالى ﴿مسَّ سقر﴾ القمر/٤٨ وصقر، و﴿سخَّر﴾ الرعد/٢ وصخَّر، وسُقْتُ وصُقْتُ. أو بالفصل بينهما، كما فى نحو: سويق وصويق، وقوله تعالى ﴿كأنَّما يُساقون﴾ الأنفال/٦ ويُصاقون، و﴿صراط﴾ الفاتحة/٧ وصراط، وسلخ وصلخ(١).

ويقول ابن يعيش عن سبب هذا الإبدال:

---

(١) سر الصناعة ١/٢١١ ـ ٢١٢ وانظر كذلك: شرح الشافية ٣/٢٢١ والتطور النحوى ٣٣.

«وإنما ساغ قلب السين صاداً إذا وقعت قبل هذه الحروف، من قبل أن هذه الحروف مجهورة مستعلية، والسين مهموس مستقل، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى؛ لأن ذلك مما يثقل، فأبدلوا من السين صاداً؛ لأن الصاد توافق السين فى الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف فى الاستعلاء، فيتجانس الصوت ولا يختلف، وهذا العمل شبيه بالإمالة فى تقريب الصوت بعضه من بعض من غير إيجاب، فإن تأخرت السين عن هذه الحروف لم يسغ فيها من الإبدال ما ساغ فيها متقدمة لأنها إذا كانت متأخرة كان المتكلم منحدراً بالصوت من عالٍ ولا يثقل ذلك ثقل التصعيد من منخفض، فلذلك لا تقول فى قِسْتُ: قِصْتُ، ولا فى يخسر المتاع: يخصر، فاعرفه»[1].

يفهم مما سبق أن الباعث على هذا الإبدال أو القلب هو الانسجام أو التجانس بين الأصوات، وهذا يدخل ضمن ما أسماه ابن جنى بالإدغام الأصغر، الذى يعنى به: تقريب الحرف من الحرف من غير إدغام[2].

وما ذكره ابن يعيش سبباً لهذا الإبدال يدخل ضمن قانون المماثلة الصوتية فى علم اللغة الحديث (مماثلة رجعية regressive) حيث وقعت السين، وهى صوت رخو مهموس مرقق قبل الغين والخاء والقاف والطاء، وهذه الأصوات الأربعة تخالف السين فى كونها مجهورة ومستعلية (مفخمة أو مطبقة) ولكى يحدث الانسجام بينها وبين السين، أثرت عليها،

---

(١) شرح المفصل ١٠/٥١ ـ ٥٢ وانظر كذلك: شرح الشافية ٣/٢٣٠ ـ ٢٣١ والتتمة فى التصريف ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) انظر الخصائص ٢/١٤٣ ـ ١٤٧.

فقلبتها إلى نظيرها المفخم وهو الصاد، وبذلك تتفق مع هذه الأصوات فى التخفيم، وتخالفها فى الجهر والهمس، فالصاد مهموسة وهذه الأصوات مجهورة(١).

ويلاحظ أن تخفيم الأصوات المرققة من سمات القبائل البدوية بسبب خشونة البادية، وذلك على عكس القبائل الحضرية كالحجازية، إذ يميلون إلى الترقيق انسجاماً مع طبيعتهم(٢).

وقد ورد قلب السين صاداً قبل الغين فى القراءات القرآنية فى كلمتين من أصل واحد، هما: (أسبغ وسابغات) وردت الأولى فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان/ ٢٠.

---

(١) عد سيبويه القاف والطاء من الحروف المجهورة ضمن حروف أخرى، هى: الهمزة، والألف والعين والغين والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والدال والزاى والظاء والذال والباء والميم والواو. الكتاب ٤/ ٤٣٤.
ويقول عن الطاء فى موضوع آخر تأكيداً على جهرها: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً» الكتاب ٤/٤٣٢ معنى هذا أنها مجهورة كالدال ولا فرق بينهما إلا فى التفخيم.
ويرى المحدثون من علماء الأصوات أن نطق القاف المجهورة يشبه نطق المصريين للجيم القاهرية، أى تنطق من أقصى الفم من الطبق، أما النطق الحالى لها فمهموسة، وتنطق من اللهاة.
ويرون أن الطاء المجهورة كانت تنطق كالضاد التى ينطق بها الفصحاء الآن، وهذا الوصف مستفاد من قول ابن الجزرى: «إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة» وتنطق حالياً مهموسة. ويعتبرون أن التغير فى نطقها من الجهر إلى الهمس من التغيرات التاريخية.
(انظر فيما سبق: الأصوات اللغوية ٦١ ـ ٦٢ و٨٤ ـ ٨٦ ومناهج البحث فى اللغة ٩٤ ـ ٩٦ ومدخل فى الصوتيات ٩٨).
والمحدثون يتفقون مع القدماء فى أن الصوتين مفخمان، والاختلاف فقط فى الجهر والهمس أما الصوتان الآخران وهما الغين والخاء فمجهوران كما عند القدماء.
(٢) لهجة تميم ٩٣.

«ذكر أبو حيان أن بنى كلب يُبدلون السين إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صاداً، ولم يذكر هذا فى (سخر) قراءة، بل ذكره فى (أسبغ) فقال: «قرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة (أصبغ) بالصاد، وهى لغة لبنى كلب... وباقى القراء بالسين على الأصل» وسياق الكلام يقتضى أن يقرأ أيضاً (صَخَّرَ) بالصاد بدل السين، ولم يصرح بهذا أبو حيان ولا الزمخشرى ولا ابن جنى. قال ابن جنى: «وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صاداً، وذلك قوله تعالى: ﴿وسخر﴾ وصخر، و«أسبغ عليكم نعمة» و«أصبغ»[1].

ووردت الثانية فى قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ سبأ/١١.

«قرئ (صابغات) بالصاد بدلاً من السين. وكان أبو حيان قد ذكر فى قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ فى سورة لقمان/٢٠ أن القراءة بالصاد لغة لبنى كلب، يبدلون من السين إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صاداً»[2].

٢ ـ إبدال السين زايا

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة كلب، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إبدال السين زاياً، إذا وقعت قبل القاف أو الطاء. وهما من الأصوات المجهورة عند القدماء[3]. ويمكن بيان ذلك على النحو التالى:

---

(١) معجم القراءات ١٩٨/٧.

(٢) السابق ٣٤١/٧.

(٣) سبق أن ذكرنا فى الموضوع السابق (قلب السين صاداً) أن القاف والطاء من الأصوات المجهورة عند القدماء، وعندنا حالياً من المهموسات.

١ـ السين + القاف

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ القمر/٤٨.

جاء فى معجم القراءات عن كلمة (سقر):

«قبيلة كلب تقرأ (مسَّ سقَر) لأنهم يقلبون السين مع القاف خاصة زاياً، فيقولون فى سقَر: زَقَرَ»(١).

ويلاحظ فى كلمة (سقر) السابقة أن السين وهى صوت مهموس وقعت قبل صوت مجهور هو القاف، فأثرت القاف عليها (مماثلة رجعية regressive) فقلبتها إلى نظيرها المجهور وهو الزاى، وبذلك يحدث الانسجام بين الصوتين من ناحية الجهر.

٢ـ السين + الطاء

قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة/٦.

جاء فى معجم القراءات عن كلمة (الصراط):

«قرأ (الزراط) بالزاى: حمزة وأبو عمرو والكسائى فى رواية ابن ذكوان عنه وعن عاصم فى رواية مجالد بن سعيد عنه بالزاى الخالصة وهى رواية الأصمعى عن أبى عمرو، وهى رواية عن حمزة. وهى لغة بنى عذرة وبنى كلب وبنى القين»(٢).

---

(١) معجم القراءات ٩/٢٣٩.
(٢) السابق ١/١٧ ـ ١٨.

ويلاحظ على كلمة الصراط هنا أن أصلها (السراط)[1] فالسين وقعت قبل صوت مجهور مفخم هو الطاء، فأثرت الطاء عليها (مماثلة رجعية)، فقلبتها إلى نظيرها المجهور وهو الزاى، وبذلك تكون الزاى متفقة مع الطاء فى صفة الجهر، ومختلفة معها فى التفخيم والترقيق، فالزاى مرققة والطاء مفخمة.

٣ ـ إبدال الثاء فاء

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إبدال الثاء فاء، وذلك فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الأنبياء/٩٦.

«قرأ ابن مسعود وابن عباس والكلبى والضحاك ومجاهد وأبو الهصباء (جَدَثٍ) بالثاء المثلثة، وهو القبر، وبالثاء لغة الحجاز. وقرئ (جَدَفٍ) والجدف القبر»، والفاء لغة تميم»[2].

ويرى ابن جنى أن الفاء بدل من الثاء فى جدث وجدف وثمَّ وفم يقول:

«وأما البدل فأخبرنى أبو على قراءة عليه بإسناده إلى يعقوب أن العرب تقول فى العطف: قام زيدٌ فُمَّ عمرو، وكذلك قولهم: جدف وجدث. والوجه أن تكون الفاء بدلاً من الثاء؛ لأنهم قد أجمعوا فى الجمع على أجداث، ولم يقولوا: أجداف»[3].

---

(١) قرأ قنبل ورويس وابن كثير ويعقوب وابن محيصن وابن مجاهد عن قنبل من طريق ابن حمدون، وأبو حمدون والكسائى والقواس وعبيد بن عقيل عن شبل وعن أبى عمرو (السراط) بالسين. معجم القراءات ١/١٧.

(٢) معجم القراءات ٦/٥٩.

(٣) سر الصناعة ١/٢٤٨ والمحتسب ١/٨٨.

وقد ورد إبدال الفاء من الثاء كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ البقرة/٦١.

وقد قرأ ابن مسعود وابن عباس وأبى (وثومها) بالثاء. وقراءة الجماعة بالفاء (وفومها)(١).

والثاء هى الأصل فى كلمة (فومها) والفاء بدل منها، والدليل على ذلك أن هناك قانوناً صوتياً من مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى لا يشذ أبداً، يتمثل فى أن الثاء فى العربية تقابل الشين فى العبرية والأكادية والتاء فى الآرامية والسين فى الحبشية، مثال ذلك كلمة (ثور) فى العربية، فهى فى الأكادية suru، وفى العبرية sor، وفى الآرامية tawra، وفى الحبشية sor(٢).

ونخلص من هذه المقارنات إلى أن الثاء أصل والفاء تطور عنها أو إبدال منها، وهذا الإبدال ساغه اتفاقهما فى جميع الصفات الصوتية، فكلاهما صوت رخو مهموس مرقق، كما أن مخرج كل منهما قريب من الآخر، فمخرج الفاء بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ومخرج الثاء بين أطراف الثنايا السفلى والعليا مع وضع طرف اللسان بينهما(٣).

---

(١) معجم القراءات ١/١١١.

(٢) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ٥٤ ـ ٥٥ وانظر كذلك فصول فى فقه العربية ٤٧.

(٣) انظر فى ذلك: الأصوات اللغوية ٤٦ ـ ٤٧ ومناهج البحث فى اللغة ٦٩ وعلم اللغة العام ـ الأصوات ١١٨ ـ ١١٩.

٤ ـ إبدال كاف المؤنث شيناً

نسب في القراءات القرآنية إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربيـة، إبدال كـاف المؤنث شيناً، وهي الظاهرة المعروفة في فقـه اللغة بالكشكشة.

غير أن نسبتها إلى تميم على سبيل التعميم؛ لأن سيبويه نص على أن ذلك لكثير من تميم وناسٍ من أسد، كما سنرى من قول سيبويه التالي، وهؤلاء من قبائل وسط الجزيرة. كما تنسب كذلك إلى بكر من القبائل الشرقية، وإلى ربيعة[1] ومضر[2].

وتعني هذه الظاهرة إبدال كاف المؤنث شيناً في الوقف، أو زيادة شين بعد الكاف، وقد أشار إلى ذلك سيبويه، يقول:

«فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف، أفأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا: ذهبوا وذَهبن، وأنتم وأنتن، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق؛ لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: إنَّشِ ذاهبةٌ، ومالَشِ ذاهبةٌ، تريد: إنك ومالك...

---

(١) سر الصناعة ١/٢٢٩ واللسان (كشش) ٥/٣٨٨٢.

(٢) فصول في فقه العربية ١٤١ ـ ١٤٢.

وقوم يُلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان، وذلك قولهم: أعطيتكِشْ، وأكرمتكِشْ، فإذا وصلوا تركوها[1].

ويفهم من قول سيبويه السابق ما يأتى:

١ـ إبدال كاف المؤنث شيناً فى الوقف هدفه البيان وإظهار أنها للمؤنث، لأنها وكاف المذكر تسكنان فى الوقف وفى هذه الحالة تختلط إحداهما بالأخرى، فكانت الشين لتلحق بكاف المؤنث، وبها يتم التفريق بين المذكر والمؤنث، والتفريق بينها بحرف أقوى من الحركة؛ لأن كاف المذكر مفتوحة وكاف المؤنث مكسورة.

٢ ـ جعلوا مكان الكاف الشين؛ لأنها من أقرب ما يشبهها من الحروف، إذ هما مهموستان، كما أن مخرج كل منهما قريب من الآخر، إذ مخرج الكاف من أقصى الفم قرب اللهاة فى منطقة تسمى الطبق، أما الشين فمخرجها أسنانى، تنطق عن طريق وضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلى ومقدمه ضد الغار، ويختلفان فقط فى الشدة والرخاوة، إذ الكاف شديدة، والشين رخوة.

٣ ـ هناك فريق ممن يتكلم بهذه الظاهرة لا يحذف الكاف التى للمؤنث، ويزيد بعدها الشين ساكنة. وكلا الحالين فى الوقف.

ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف، فيبدل فيه أيضاً من ذلك قوله المجنون:

---

(١) الكتاب ١١٩/٤ ـ ٢٠٠ وانظر كذلك: سر الصناعة ٢٠٦/١ ـ ٢٠٧ والخصائص ١٠/٢ ـ ١١ واللسان (كشش) ٣٨٨٢/٥.

فعيناشِ عيناها وجِيدُشِ جيدها سوى أن عظم الساق منْشِ دقيقُ

وذكر أن ابن جنى أنه قرأ على أبى بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى لبعض من يتكلم بهذه الظاهرة:

علّى فيما أبتغى أبغيش بيضاء تُرضينى ولا تُرْضيشِ

وَتَطَّبِّى وُدَّ بنى أبيش إذا دنوت جعلَتْ تُنئيشِ

وإنْ نأيتِ جعلت تُدْنيشِ وإنْ تكلمتِ حَثَتْ فيشِ

حتى تنقى كنقيق الدِّيشِ

ويُلاحظ فى كلمة (الديش) أن شبه الكاف فيها لكسرتها بكاف المؤنث، فأبدلها شيناً.

ومن قولهم أيضاً: إذا أعياشِ جاراتُشِ فأقبلى على بيْتِشِ[1].

ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أن ظاهرة الكشكشة لتطرأ لكل كاف مكسورة أياً كانت للمؤنث أو لغيره، وهذا واضح من خلال الشعر السابق، وليس كما ذكر الرواة وتحايلوا بالتأويل والتخريج على أن كلمة (الديك) الكاف فيها مكسورة تشبه كاف المؤنث.

وحاول الدكتور أنيس تفسير ظاهرة الكشكشة تفسيراً علمياً دقيقاً، فذكر أن هذه الظاهرة تعنى إبدال الكاف المكسورة صوتاً مركباً أو مزدوجاً هو (تْش) Affricative وبنى رأيه على هذا بالنظر إلى قانون الأصوات الحنكية

---

(١) سر الصناعة ١/٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) الجيم الخالية من التعطيش مثل الجيم القاهرية، وهى الأصل فى نطق الجيم فى اللغات السامية كما فى كلمة gamal جمل فى العبرية و gamla فى السريانية، وgamal فى الحبشية. فصول فى فقه العربية ١٤٧.

الذى توصل إليه علماء اللغة الأوربيون فى أواخر القرن التاسع عشر أثناء مقارنتهم اللغة السنسكريتية ـ لغة الهند القديمة ـ باللغتين اليونانية واللاتينية، فقد لاحظوا أن أصوات أقصى الحنك كالكاف والجيم الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية حين يليها صوت لين أمامى (كالكسرة) ولهذا وجدت كلمات فى اللغات الهندوأوربية كانت تشتمل على كاف قد تطورت فيما بعد إلى صوت من وسط الحنك هو (تْشْ) كما فى الكلمة الانجليزية Chilaren وهذا الصوت كما يظهر من الوهلة الأولى يُخيل للمستمع أنه مكون من صوتين، غير أن التجارب الصوتية الحديثة قد برهنت على أنه صوت واحد مزدوج يتكون من عنصرين: أولهما ينتمى إلى الأصوات الشديدة، وهو ما يشبه التاء، وثانيهما إلى الأصوات الرخوة، وهو ما يشبه الشين.

ثم راح يدلل على ذلك بأن هذا الصوت المزدوج المبدل من الكاف بشكل عام المكسورة والمفتوحة والمضمومة[١] لا يزال يُسمع فى بعض جهات العراق وفلسطين وسوريا، ولاسيما بين البدو[٢].

ووافقه على ذلك أيضاً الدكتور/ رمضان عبدالتواب، وأضاف أن ابن دريد قد أحس بهذا النطق وإن لم تتهيأ له الدقة فى وصفه حين قال: «وإذا اضطر الذى هذه لغته، قال: جيدشِ وغلامشِ، بين الجيم والشين إذا لم يتهيأ له أن يفرده».

---

(١) الأصل فى تحول الكاف إلى صوت مزدوج (تْشْ) كان مع الكاف المكسورة، ثم عُمّم بعد ذلك على المفتوحة والمضمومة، طرداً للباب على وتيرة واحدة.

(٢) فى اللهجات العربية ١٢٢ ـ ١٢٥.

ويقول البلوى كذلك: «ومن العرب من يلفظ بهذه الكاف، بين الجيم والشين، وذلك من اللغات المرغوب عنها، لما لم يتهيأ له أن يفرد الجيم ولا الشين»[١].

ثم يفسر الدكتور/ رمضان ما تبقى من ظاهرة الكشكشة وهى الشين، ورأى أن تفسيرها بسيط جداً، ذلك أن الأصوات المزدوجة تتطور على ألسنة المتكلمين بانحلالها إلى أحد عنصريها، تماماً كما حدث للجيم الفصيحة، ذلك الصوت المزدوج المكون من الدال والشين المجهورة، حيث نرى بعض العوام من صعيد مصر ينطقونها دالاً كما فى كلمة (دشيش) فى جشيش، و(دَشَع) فى جشع، وينطقها الشوام شيناً مجهورة وهذا هو العنصر الثانى.

أما بالنسبة لما تبقى من ظاهرة الكشكشة وهى (الشين) فيرى الدكتور/ رمضان أن هذه الشين موجودة فى نطق أهل اليمن، وهى المعروفة بـ (الشنشنة) وهى عبارة عن جعل الكاف شيناً.

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن ظاهرة الكشكشة عبارة عن إبدال الكاف المكسورة مطلقاً صوتاً مزدوجاً، هو (تْشْ) الذى تطور فيما بعد إلى صوت مفرد واحد، هو (الشين).

تْشْ > شْ[٢].

ـ وقد وردت هذه الظاهرة فى موضع واحد فى القراءات القرآنية فى قوله تعالى: ﴿قَدْ جعل ربُّك تحتَك سريًا﴾ مريم/ ٢٤.

---

(١) فصول فى فقه العربية ١٤٦.

(٢) فصول فى فقه العربية ١٤٨ ـ ١٤٩.

حيث: «قرأ بعض القراء (قد جعل ريش تحتش سريا) ويذكر هذا علماء اللغة فى معرض حديثهم عن كشكشة تميم»[1].

٥ ـ إبدال العين حاء

نسب فى القراءات القرآنية إلى بعض أعراب بنى أسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إبدال العين حاء، وذلك إذا جاورت صوتاً مهموساً.

وقد تجلى ذلك فى كلمة (بُعثر) فى قوله تعالى: ﴿أفلا يَعْلَمُ إذا بُعْثِر ما فِي القُبُورِ﴾ العاديات/٩.

فقد «قرأ ابن مسعود (بُحْثِرَ) بالحاء مبنياً للمفعول. قال الفراء: وسمعت بعض أعراب بنى أسد، وقرأ فقال: (بُحْثِرَ) وهما لغتان:(بُحْثِرَ وبُعْثِرَ)[2].

ويرجع السبب فى هذا القلب إلى أن العين جاورت الثاء، والعين صوت مجهوروالثاء صوت مهموس، فأثرت الثاء على العين فقلبتها إلى نظيرها المهموس وهو الحاء (مماثلة رجعية regressive) وبذلك يحدث الانسجام بين الصوتين: الحاء والثاء[3].

ويلاحظ أن العين والحاء من مخرج واحد هو الحلق، وكل منهما صوت رخو مرقق، ويختلفان فقط فى الجهر والهمس، فالعين صوت مجهور، والحاء صوت مهموس[4].

ملاحظة:

نُقل كذلك عن تيمم قلب العين حاء إذا جاورت الهاء، ومثال ذلك قولهم: مَحَّمْ فى معهم، وأحَّد فى أعهد[5].

---

(١) معجم القراءات ٣٥٤/٥.
(٢) السابق ٥٤٤/١٠.
(٣) انظر فى هذا التفسير: فى اللهجات العربية ١٠٩ واللهجات العربية الغربية القديمة ١٥٤.
(٤) مناهج البحث فى اللغة ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٥) اللهجات العربية الغربية القديمة ١٥٤ ـ ١٥٥.

وسبب هذا الإبدال كما هو واضح يكمن فى أن العين قد جاورت الهاء وهى صوت مهموس والعين صوت مجهور، فأثرت الهاء عليها، فقلبتَها إلى نظيرها المهموس وهو الحاء (مماثلة رجعية) ثم أثرت الحاء على الهاء المجاورة فقلبتها حاء مثلها (مماثلة تقدمية Progressive) لأن الحاء كالهاء فى جميع الصفات، فكلاهما رخو مهموس مرقق، ومخرجاها متجاوران، فالهاء من الحنجرة والحاء من الحلق، ثم بعد ذلك أغمت الحاء الأولى فى الثانية.

مَعَهُمْ > مَعْهُمْ بتسكين العين > مَحْهُمْ > مَحْحُمْ مَحُّمْ.

أَعْهَدُ > أَحْهَدُ > أَحْحَدُ > أَحُّدُ.

ـ ويلاحظ أن إبدال العين حاء هنا على خلاف إبدال العين حاء عند هُذَيْل، من قبائل غربى الجزيرة العربية، وهى الظاهرة المعروفة بـ (فحفحة هذيل) وذلك فى كلمة (حتى) فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يوسف/ ٣٥، حيث قرأ ابن مسعود (عتى حين) وينسب ذلك إلى ثقيف أيضاً[١].

ويروى أن عمرو بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كما يقول ابن جنى: «سمع رجلاً يقرأ (عتى حين) فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل. والسلام»[٢].

وذكر رابين Rabin أن المفسرين واللغويين يرون أن هذا شائع فى لهجة هذيل، وأضاف أن بعض المتأخرين قال: إن هذيلاً تنطق الحاء عيناً

---

(١) معجم القراءات ٤/٢٥٦.
(٢) المحتسب ١/٣٤٣.

باطراد، ولكنهم لا يقدمون أمثلة غير هذه القراءة، ثم ذكر أن اليازجى فى مؤتمر المستشرقين السابق قدم جملة كاملة من لهجة هذيل وهى (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) ولم يذكر المصدر الذى أخذ عنه مما يبعث على الشك فى ذلك[1].

وقد ربط الدكتور/ رمضان عبدالتواب بين (عتى) الهذيلية وبين الكلمة نفسها فى العبرية والآرامية. فهى فيهما بالعين كما عند هذيل، فهى فى العبرية עד ʿad وفى الآرامية كذلك עד ʿad أى أنه جهر بالحاء فيهما فأصبحت عيناً كما جهرت فى لغة هذيل، وزاد الأمر فيهما أن تماثلت التاء مع العين، فجهرت هى الأخرى فصارت دالاً[2].



(١) اللهجات العربية الغربية القديمة ١٥٣.
(٢) فصول فى فقه العربية ١٣٩.

١٢ - إيثار القاف على الكاف

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبائل تميم وأسد وقيس، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إيثار القاف على الكاف.

وقد تجلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وإذا السَّماءُ كُشِطَتْ ﴾ التكوير/١١ .

«قرأ ابن مسعود وعامر بن شراحيل الشعبى وإبراهيم بن يزيد النخعى (قُشِطَتْ) بالقاف، وهى لغة تميم وأسد وقيس. قالوا: وليست القاف بدلاً من الكاف، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين، وقال ابن حجر: والمعنى واحد، والعرب تقول: الكافور والقافور، والقسْط والكسْط، وإذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقباً فى اللغة. وقال الزمخشرى: اعتقاب الكاف والقاف كثير»[١] .

فهذه القبائل فضلت القاف على الكاف، وليس ذلك إبدالاً بدليل أن المعنى واحد فى الكلمتين لم يتغير: كُشِطَتْ وقُشِطَتْ.

وربما يكون الباعث على إيثار القاف على الكاف، أن ذلك مما يتفق مع الطبيعة البدوية وما فيها من خشونة وصرامة، إذ إن الكاف صوت شديد مهموس مرقق، وهذا لا يتفق مع طبيعتهم، أما القاف فصوت شديد مجهور[٢] له بعض القيمة التفخيمية، وذلك لأنه يتم عند النطق به« قرب اللسان من الجدار الخلفى للحلق فى نقطة فوق تلك التى تتصل بها ظاهرة التحليق، ومن هنا لم يكن صوت القاف من الأصوات المفخمة تفخيماً كاملاً، وإنما كان له بعض القيمة التفخيمية الذى جاء من وجود العنصر الطبقى والحلقى فى نطقه»[٣].

---

(١) معجم القراءات ١٠/٣٢٦.

(٢) سبق أن ذكرنا أن القاف عند القدماء من الأصوات المجهورة وأنها كانت تنطق كالجيم القاهرية والجيم السامية.

(٣) مناهج البحث فى اللغة ٩٦ ـ ٩٧.

١٣ ـ تحريك ميم الضمير (هم) بالضمة إذا وليها ساكن

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة أسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، تحريك ميم الضمير (هم) بالضمة القصيرة إذا وليها ساكن، وذلك من باب كراهية التقاء الساكنين.

وقد سبق أن ذكر فى الجزء الخاص بإتباع حركة ضمير الغيبة لكسرة أو ياء سابقة أن أصل حركة الهاء فى الضمير (هُمْ) الضمة القصيرة، وأن هذه الضمة تقلب كسرة إذا سبقت بكسرة أو ياء، بسبب تماثل هذه الضمة مع الياء أو الكسرة (مماثلة تقدمية Progressive) وذكرنا أيضاً أن أصل حركة الميم الضمة الطويلة، وأنها تحذف من باب التخفيف، فتصير الميم ساكنة.

بـِ هـِ مـْ < بـِ هـِ مـُـُ < بـِ هـُ مـُـُ

ءـِ لـَ يـْ هـِ مـْ < ءـِ لـَ يـْ هـِ مـُـُ < ءـِ لـَ يـْ هـُ مـُـُ.

ـ أما هنا فإن الذى يلى الميم الساكنة حرف ساكن، ومعلوم أن التقاء الساكنين ممتنع، وللتخلص منهما يجب تحريك أولهما، وبما أن هذه الميم أصلها فى التحريك الضمة الطويلة، فإنها هنا تقصر وتصبح ضمة قصيرة، فتكون هذه الحركة عند قبيلة أسد هى حركة التخلص من التقاء الساكنين، وعند غيرهم تكون الحركة الكسرة. وهذا واضح من خلال القراءات القرآنية المنسوبة إلى قبيلة أسد، وهى:

١ ـــ **(قلوبهمُ العجل)** قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة/٩٣.

«قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر وابن محيصن (قلوبِهمُ العِجْلَ) بكسر الهاء وضم الميم. وهى لغة بنى أسد وأهل الحرمين»(١).

٢ ـ (عَلَيْهِمُ القتلُ) قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ آل عمران/ ١٥٤.

«قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر وابن محيصن وروْح (عليْهِمُ القتل) بكسر الهاء وضم الميم، وذلك لمناسبة الكسر للياء قبله، وتحريك الميم بالحركة الأصلية. وهى لغة بنى أسد وأهل الحرمين»(٢).

ويلاحظ أن أصل الضمير (هم) فى الحركة هو (هُمو) وحدث فيه تغييران: الأول تحول ضمة الهاء إلى كسرة من باب المماثلة للكسرة أو الياء السابقة (مماثلة تقدمية) والتغيير الثانى: تقصير حركة الميم، فتصبح فى النهاية (ـهِمُ).

ب ـِ هـ ـُ م ـُ ـُ > ب ـِ هـ ـِ م ـُ ـُ > ب ـِ هـ ـِ م ـُ

ع ـَ ل ـَ ى هـ ـُ م ـُ ـُ > ع ـَ ل ـَ ى هـ ـِ م ـُ ـُ > ع ـَ ل ـَ ى هـ ـِ م ـُ

كما وردت تراكيب أخرى ولها نفس التخريج الساق، وهى على النحو التالى:

١ ـ (عليْهِمُ القتالُ) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ النساء/٧٧(٣).

---

(١) معجم القراءات ١/١٥٣.

(٢) معجم القراءات ١/٦٠٥.

(٣) السابق ٢/١٠٩.

٢ - (عَلَيْهِمُ الْبابَ) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ المائدة/٢٣[١].

٣ - (إِلَيْهِمُ الملائكةَ) قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الأنعام/١١١[٢].

٤ - (عليهمُ الشُّقَّةُ) قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ التوبة/٤٢[٣].

٥ - (من تحتهمُ الأنهارُ) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ يونس/٩[٤].

٦ - (لربِّهِمُ الْحُسْنَى) قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الرعد/١٨[٥].

٧ - (عَلَيْهِمُ الَّذِى) قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ الرعد/٣٠[٦].

---

(١) السابق ٢/٢٥٣.
(٢) السابق ٢/٥٢٥.
(٣) السابق ٣/٣٩٢.
(٤) السابق ٣/٥٠٠.
(٥) السابق ٤/٤٠٧.
(٦) السابق ٤/٤١٩.

٨ ـ (**يأتيهمُ العذابُ**) قال تعالى: ﴿وأنذر النَّاس يوْمَ يأتيهمُ العذابُ فيقُولُ الَّذين ظلمُوا ربنا أخرْنا إلىٰ أجل قريب نُجبْ دعْوتك ونتَّبع الرُّسُل﴾ إبراهيم/٤٤[١].

٩ ـ (**ويُلْهِهِمُ الأملُ**) قال تعالى: ﴿ذرْهُمْ يأكُلُوا ويتمتَّعُوا ويُلْههمُ الأملُ﴾ الحجر/٣[٢].

١٠ ـ (لا يهديهمُ الله) قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين لا يُؤْمنُون بآيات الله لا يهْديهمُ اللهُ ولهُمْ عذابٌ أليمٌ﴾ النحل/ ١٠٤[٣].

١١ ـ (إلى ربهمُ الوسيلة) قال تعالى: ﴿أُولئك الَّذين يدْعُون يبتغُون إلىٰ ربهمُ الْوسيلة أيُّهُمْ أقْربُ﴾ الإسراء/٥٧[٤].

١٢ ـ (**من تحتهمُ الأنهارُ**) قال تعالى: ﴿أُولئك لهُمْ جنَّاتُ عدْنٍ تجْري من تحْتهمُ الأنهارُ﴾ الكهف/ ٣١[٥].

١٣ ـ (**عليهمُ العُمُرُ**) قال تعالى: ﴿ولكنَّا أنشأْنا قُرُونًا فتطاول عليْهمُ العُمُرُ﴾ القصص/٤٥[٦].

١٤ ـ (**بهمُ الأرض**) قال تعالى: ﴿إن نَّشأْ نخْسفْ بهمُ الأرْض أوْ نُسْقطْ عليْهمْ كسفًا من السَّماء﴾ سبأ/ ٩[٧].

---

(١) السابق ٤/ ٥١١.
(٢) السابق ٤/ ٥٣٥.
(٣) السابق ٤/ ٦٩١.
(٤) السابق ٥/ ٨١.
(٥) السابق ٥/ ٥٩٨.
(٦) السابق ٧/ ٥١.
(٧) السابق ٧/ ٣٣٨.

١٤ـ إثبات ألف (أنا) وصلاً ووقفاً قبل همزة القطع والضمير (هو)

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إثبات ألف الضمير (أنا) وصلاً ووقفاً فى موضعين، أولهما: قبل همزة القطع المفتوحة والمضمومة والمكسورة، وثانيهما: قبل الضمير (هو) وفيما يلى بيان ذلك من القراءات القرآنية:

أولاً: إثباتها قبل همزة القطع.

١ـ قبل الهمزة المفتوحة: ـ (أَنَا أَوَّلُ)

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام/١٦٢ ـ ١٦٣.

«قرأ نافع وأبو جعفر بمد (أنا) قبل الهمزة من (أول) وصلاً على إشباع الألف. وذهب ابن عطية إلى أن ترك الإشباع أحسن لأنها ألف وقف، فإذا اتصل الكلام استغنى عنها إذا وليتها همزة. وقرأ قالون بالمد والقصر؛ لأنها عنده مد منفصل. وقراءة الباقين بلا مدّ (وأَنَ أَوَّلُ). وفى حالة الوقف كل القراء يثبتون الألف (أنا). وفى الاتحاف: وفيه لغتان: تميم إثباتها وصلاً ووقفاً وعليها تُحمل قراءة المدنيين. والثانية: إثباتها وقفاً فقط»(١).

٢ـ قبل الهمزة المضمومة

ـ (أنا أُحْيِى) قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ البقرة/٢٥٨.

---

(١) معجم القراءات ٢/٦٠٣ ـ ٦٠٤.

«اختلف العلماء فى إثبات الألف وحذفها من (أنا) فى الوصل إذا أتى بعدها همزة قطع، مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، فقرأ نافع وأبو جعفر بإثباتها عند المفتوحة والمضمومة (أنا أُحيى) فى الوصل والوقف، وروى هذا عن نافع أبو بكر بن أبى أُوَيْس وقالون وورش. وتخرج هذه القراءة على لغة تميم، فإثبات الألف مذهبهم. وقرأ حمزة والكسائى وعاصم وابن عامر وأبو عمرو وابن كثير (أَنَ أُحيى) بحذف الألف فى الوصل. وأجمع القراء على إثباتها فى الوقف (أنا) وإثبات الألف وصلاً ووقفاً لغة تميم، ولغة غيرهم حذفها فى الوصل، ولا تثبت عند غير بنى تميم وصلاً إلا فى ضرورة الشعر»(1).

ـ (أنا أُنبئُكُمْ) قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ يوسف/٤٥.

«قرأ نافع وأبو جعفر فى الوقف والوصل (أنا) بمد الألف قبل الهمزة المضمومة، فيصير عنده مداً منفصلاً، وهى لغة تميم... قال فى الإتحاف: وفيه لغتان لغة تميم: إثباتها وصلاً ووقفاً، وعليهما تُحمل قراءة المدنيين، والثانية: إثباتها وقفاً فقط»(2).

٣ـ قبل الهمزة المكسورة

ـ (أنا إلا نذير) قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف/١٨٨.

«اختلفوا فى إثبات الألف من (أنا) وحذفها إذا أتى بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، فقرأ المدنيان بإثباتها عند المضمومة

---

(1) السابق ١/٢٦٥ ـ ٣٦٦.

(2) السابق ٤/٢٧٤.

والمفتوحة (أنا أحيى ـ أنا آتيك) واختلف عن قالون عند المكسورة فى نحو (إنْ أنا إلا) فروى الشذائى عن ابن بويان عن أبى حسان عن أبى نشيط عنه إثبات الألف (إنْ أنا إلا) وكذلك روى ابن شنبوذ وابن مهران، وهى رواية أبى، وأبى الحسن بن ذؤابة القزاز وأبى عون الحلوانى. وروى الفرضى من طريق المغاربة وابن الحباب عن ابن بويان حذفها (إنْ أن إلا) ...

قال ابن الجزرى: والوجهان صحيحان عن قالون نصاً وأداء، نأخذ بهما من طريق أبى نشيط، ونأخذ بالحذف من طريق الحلوانى، وقرأ الباقون بحذف الألف وصلاً وفى الأحوال الثلاثة، ولا خلاف فى إثباتها وقفاً. واختصر صاحب الإتحاف نص النشر، ثم قال: وفيه لغتان: لغة تميم إثباتها وصلاً ووقفاً، وعليه تحمل قراءة نافع وأبى جعفر، والثانية إثباتها وقفاً فقط»[1].

ـ ويلاحظ من خلال ما سبق أن تميماً كلفت نفسها مشقة إثبات ألف أنا فى الوصل، وهذا أمر مستغرب منهم؛ لأن أهل البادية يميلون إلى السرعة فى الكلام، وكان من المفروض أن تقصر حركة (أنا) وهى ألف المد لتصبح فتحة قصيرة، ويمكن أن نعتبر سلوكهم هذا وما فيه من مشقة مما يتفق مع طبيعة أهل البادية فى سلوك الصعب من الحركات.

أما غيرهم فمال إلى التقصير، ذلك أن الوصل وما يتطلبه من سرعة فى النطق يؤدى إلى ذلك، أى تتحول (نا) من (أنا) من مقطع قصير مفتوح محرك بحركة طويلة (ص ح ح) إلى محرك بحركة قصيرة (ص

---

(١) السابق ٣/٢٣١.

ح) وبذلك يتماثل هذا المقطع مع مقطع (أ) من (أنا) كما يتضح الانسجام كـذلك حين يكون هذا المقطـع من (ص ح) مع مـقطع الـهـمـزة التـاليـة المفتوحة أو المضمومة أو المكسورة، إذ قد يكون من نوع (ص ح) أو من نوع (ص ح ص) أى مقطع مغلق.

ثانياً: إثباتها قبل الضمير (هو)

ورد هذا فى قوله تعـالى: ﴿لَكِنَّاْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾ الكهف/٣٨.

«لكنَّا أصله: (لكنْ أَنَا) نقلت حركة الهمزة إلى نون (لكن) وحذفت الهمزة، والتقى مثلان، فأدغم أحدهما فى الآخر.

وقرأ ابن عامر وابن كثير فى رواية ابن فليح ونافع فى رواية المسيبى وأبو عـمـرو فى رواية وعـاصم فى رواية زيد بن على ورُوَيْس والحسن والزهرى وأبو بحرية ويعقوب فى رواية وكردم وورش وأبو جعفر من طريق الحلوانى ورُوَيْس (لكنا هو الله ربى) بإثبات الألف وقفاً ووصلاً، أما فى الوقف فظاهر، وأما فى الوصل فبنوا تميم يثبتونها فيه وغيرهم فى الاضطرار، فجاء على لغة بنى تميم»[١].

وتفسير إثبات ألف (أنا) وعدم حذفها عند تميم وصلاً ووقفاً، وحذفها وصلاً فقط عند غيرهم، هو نفس التفسير السابق.

---

(١) السابق ٥/٢١٢ ـ ٢١٣.

١٥ ـ همز واو المد المسبوقة بضمة

نسب في القراءات القرآنية إلى بعض أسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، همز واو المد المسبوقة بضمة، وذلك في بعض الأسماء الأعجمية من مثل: يونس ويوسف. وفيما يلي بيان ذلك:

١ ـ (يُوسُف) قال تعالى: ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كُلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾ الأنعام/٨٤.

«عن طلحة أنه قرأ (يُؤسِف) بالهمز وكسر السين. وهي لغة بعض بني أسد»[١].

٢ ـ (يُونُس) في موضعين، الأول: في قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبوراً﴾ النساء/١٦٣.

«بعض أسد يهمزة ويضم (يُؤْنُس) وهي قراءة عمرو بن دينار، وهي قراءة طلحة بن مصرف»[٢].

والثاني: في قوله تعالى: ﴿وإنَّ يونس لمن المرسلين﴾ الصافات/١٣٩ والتخريج هو نفس التخريج السابق.[٣]

يرى ابن جنى أن همز الواو أو قلبها همزة في مثل ما سبق محمول على همز الواو المضمومة في مثل (أُقتت) و(أُجوه) والأصل (وُقِّتَتْ) و(وُجوه) فالواو في موسى ويوسف ساكنة وقبلها ضمة، فصارت الضمة كأنها فيها بسبب الجوار. يقول:

---

(١) معجم القراءات ٢/٢٧٤.

(٢) السابق ٢/٢٠١.

(٣) السابق ٨/٥٩.

«أنشدنا أبو عليّ:

أَحَبُّ المُؤْقِدِينَ إلىَّ مُؤْسى

بهمز الواو فى المُؤْقِدِيْن ومُؤْسى. وروى قنبل عن ابن كثير (بالسُؤق) ص/٣٣ مهموز الواو، ووجه ذلك أن الواو وإن كانت ساكنة، فإنها قد جاورت ضمة الميم، فصارت الضمة كأنها فيها، فمن حيث همزت الواو فى نحو (أُقتت) المرسلات/١١ و(أُجوه) و(أُعد) لانضمامها، كذلك جاء همز الواو فى (الموقدين) و(موسى) على ما قدمنا من أن الساكن إذا جاور المتحرك صارت حركته كأنها فيه، ويزيد ذلك عندك وضوحاً أن من العرب من يقول فى الوقف: هذا عَمُرْ وبَكُرْ، ومررت بعَمِرْ وبكِرْ، فينقل حركة الراء إلى ما قبلها، وإنما جاز ذلك لأنه إذا حُرك ما قبل الراء فكأن الراء متحركة وقال حسان:

فارسِيْ خَيْلٍ إذا ما أمسكَتْ ... رَبَّةُ الخِدْرِ بأطرفِ السِّتِرْ

يريد: السِّتْرِ. وقال الأعشى:

إذا قتُهُمْ الحربُ أنفاسَها ... وقد تُكْرَهُ الحربُ بعد السِّلِمْ

فهذا كله يشهد بأن الحركة إذا جاورت الساكن صارت كأنها قد حلته»(١).

وأرى أن واو المد فى يوسف ويونس لم تُهمز أو تُقلب همزة؛ لأن الهمزة الموجودة هى أصل فى الكلمتين، ذلك أن يوسف مشتق من الفعل: أسفه بمعنى: أحزنه، ويونس من الفعل: آنسه، إذا أزال وحشته. والسين فى

---

(١) سر الصناعة ١/٧٩ ـ ٨٠ وانظر كذلك الخصائص ٣/١٤٩.

يوسف والنون في يونس أصلهما الكسر، وتحولهما إلى الضم من باب المماثلة لحركة الياء فيهما. فكأن هاتين الصيغتين اللتين نطق بهما بعض بني أسد يمثلان المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فهي تحول (مُؤْ) من مُؤْسى، و(يُؤْ) من يؤسف إلى (مُو) و(يو) فصارت الكلمتان: موسى ويوسف، والتحول إلى واو المد كان بسبب تخفيف الهمزة الساكنة بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها.

والأمر كذلك بالنسبة لـ (مُؤسى) في كلام ابن جني السابق من الفعل: آسى بينهما مؤاساة ومواساة، أي: سوى بينهما، أو من أسِيَ عليه وله أساً، أي: حَزِنَ.

أما (المُؤْقِدَينِ) في البيت فأصله: (المُوْقِدَيْن) بسكون الواو ونشوء الصوت المركب (uw / ـُ و) وقد همز الجزء الثاني من هذا الصوت وهو الواو الساكنة، وسبب ذلك حتى لا يتحول الصوت المركب إلى ضمة طويلة (ū / ـُـُ).

١٦ ـ قلب القاف والميم إلى موضع العين

نُسب فى القراءات القرآنية إلى تميم وبعض ربيعة، قلب القاف إلى موضع العين (قلب مكانى) ونسب إلى تميم فقط قلب الميم إلى موضع العين، وذلك عند اجتماعهما فى كلمة واحدة. وفيما يلى بيان ذلك:

أولاً: قلب القاف إلى موضع العين:

١ـ **(الصواعق)** فى موضعين: الأول: فى قوله تعالى: ﴿ يجْعلُون أصابعهُمْ في آذانهم مّن الصّواعق حذر الْموْت ﴾ البقرة/١٩.

«قرأ الحسن (الصواقع) وهى لغة تميم وبعض ربيعة»[١].

والثانى: فى قوله تعالى: ﴿ ويُرْسلُ الصّواعق فيُصيبُ بها من يشاءُ ﴾ الرعد/١٣[٢]. نفس التخريج السابق.

٢ ــ **(الصاعقة)** فى قوله تعالى: ﴿ فعتوْا عنْ أمْر ربّهمْ فأخذتْهُمُ الصّاعقةُ وهُمْ ينظُرُون ﴾ الذاريات/٤٤.

«قرأ الحسن (الصاقعة) بتقديم القاف على العين، وهى لغة تميم وربيعة»[٣].

الثانى: قلب الميم إلى موضع العين:

ـ **(عميق)** فى قوله تعالى: ﴿ وأذّن في النّاس بالْحجّ يأْتُوك رجالاً وعلى كُلّ ضامرٍ يأْتين من كُلّ فجٍّ عميقٍ ﴾ الحج/٢٧.

---

(١) معجم القراءات ١/٥٥.
(٢) السابق ٤/٣٩٨.
(٣) السابق ٩/١٣٨.

«قرأ ابن مسعود (معيق) وهى لغة تميم. وقراءة الجمهور (عميق) وهى لغة الحجاز. والقراءتان معناهما واحد، يقال: بئر بعيدة العَمْقِ والمَعْقِ»[1].

- وأرى أن سبب القلب المكانى بين القاف والعين يعود إلى إيثار تميم وبعض ربيعة تقديم الأصوات الأمامية على الخلفية، فالقاف من الأصوات الأمامية، إذ مخرجها من أقصى الحنك الأعلى، من اللهاة، أما العين فمن الأصوات الخلفية، ومخرجها من الحلق، إضافة إلى أن القاف صوت شديد مجهور (عند القدماء) له بعض القيم التفخيمية كما سبق أن ذكرنا من قبل، أما العين فرخوة مجهورة. إذن فالقاف فيها مجهود عضلى فى نطقها أكثر من العين، وهذا يتفق مع الشدة والصرامة التى تتميز بها القبائل البدوية.

- والأمر كذلك بالنسبة للميم مع العين، فالميم من الأصوات الأمامية، مخرجها الشفاة، أى السفلى والعليا، ويشترك فى نطقها مع الفم الأنف أيضاً، ولذلك يطلق عليه مصطلح (صوت أنفمى) لأنه عند النطق بها تغلق الشفتان بإحكام بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور من الفم وتُسمح له بالمرور من الأنف، وهى مجهورة أيضاً، أما العين فكما سبق أن ذكرت من الأصوات الخلفية، ومخرجها من الحلق، ومجهورة. معنى هذا أن النطق بالميم أيضاً يحتاج مجهوداً عضلياً أكثر من العين.

---

(١) السابق ٦/١٠٦.

الخاتمة

نبدأ الخاتمة بعرض جدول يلخص الخصائص الصوتية التي شملتها الدراسة وتوزيعها على القبائل موضوع الدراسة:

		الخصائص الصوتية																									ملاحظات	
		[illegible]	[illegible]	[illegible]						الإمالة	المحافظة على الهمزة	إضافة [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الإبدال					[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	قلب القاف والميم إلى [illegible]	عدد ورود الظواهر	النسبة المئوية
				[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]								[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]							
قبائل وسط الجزيرة العربية	تميم	+	+	−	+	−	−	+	−	+	+	+	−	+	+	+	−	−	+	+	−	+	−	+	−	+	[illegible]	[illegible] تقريبا
	قيس	+	+	−	+	−	−	−	+	+	−	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	بعض قيس	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	أسد	+	+	−	+	−	+	−	−	+	−	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	بعض أسد	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	بعض [illegible] أسد	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−		[illegible] تقريبا
	ربيعة	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	بعض ربيعة	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	[illegible]	[illegible] تقريبا
	عقيل ومن جاورهم	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	طيء	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	بعض بني طيء	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
قبائل [illegible] الجزيرة العربية	[illegible]	−	+	−	−	−	+	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	[illegible]	[illegible] تقريبا
	[illegible]	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	[illegible] — ١٨	[illegible] تقريبا

+ تعني وجود الخاصية الصوتية

− تعني عدم وجودها

ملاحظات على الجدول:

يظهر من الجدول أن عدد الخصائص الصوتية التي شملتها الدراسة خمس وعشرون ظاهرة، وعدد القبائل الموزعة عليها هذه الخصائص ثماني، ستة منها من قبائل وسط الجزيرة العربية واثنتان من شرقيها. ويمكن الخروج من هذا الجدول بالملاحظات الآتية:

١ـ وردت خاصية كسر حروف المضارعة عند ست قبائل، هي: تميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وبعض كلب، وبهراء.

٢ـ وردت خاصية حذف حركة الحرف الثاني من الكلمات الثلاثية عند خمس قبائل، هي: تميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وبكر.

٣ـ وردت خاصية إشمام حركة فاء الماضي الأجوف المبني للمجهول عند ثلاث قبائل، هي: قيس، وأسد، وعقيل.

٤ـ وردت المعاقبة بين الكسرة والضمة عند أربع قبائل، هي: تميم، وقيس، وأسد، وبكر.

٥ ـ ورد إتباع حركة هاء التنبيه لحركة (أيُّ وأيَّةُ) في (لأيُّها وأيَّتُها).

٦ ـ ورد إتباع حركة حرف الإعراب لماليس حرف إعراب والعكس عند قبيلتين، هما: تميم، وبعض قيس.

٧ ـ ورد قلب القاف والميم إلى موضع العين (قلب مكاني) عند قبيلتين، هما: تميم، وبعض ربيعة.

٨ ـ تشترك تميم وقيس وأسد في ثلاث خصائص صوتية، هي:

ـ إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة سابقة.

ـ الإمالة.

ـ إيثار القاف على الكاف.

٩ ـ استأثرت قبيلة تميم وحدها بثمانية خصائص صوتية، هى:

ـ كسر فاء فعيل إتباعاً للعين.

ـ إدغام العين فى اللام فى الجزم والأمر.

ـ حذف فاء المثال الذى على وزن افتعل.

ـ حذف إحدى الياءين من الفعل (استحيا يستحيى).

ـ إبدال الثاء فاء.

ـ إبدال كاف المؤنث شيناً (الكشكشة).

ـ المحافظة على الهمزة.

ـ إثبات ألف (أنا) وصلاً ووقفاً قبل همزة القطع والضمير (هو).

١٠ ـ انفردت قبيلة كلب بخاصيتين صوتيتين، هما:

ـ إبدال السين صاداً.

ـ إبدال السين زاياً.

١١ ـ انفرد بعض أسد بخاصتين صوتيتين، هما:

ـ همز واو المد المسبوقة بضمة.

ـ إتباع حركة واو العطف وفائه لحركة همزة (إن).

١٢ـ انفردت قبيلة قيس بخاصية إشمام الصاد زاياً.

١٣ ـ انفرد بعض أعراب بنى أسد بخاصية واحدة، هى: إبدال العين حاء.

١٤ ـ انفردت قبيلة أسد بخاصية تحريك ميم ضمير الغائبين (هم) بالضمة عند التقائه بساكن.

١٥ ـ تُرتب القبائل المذكورة وفق عدد استخدامها الخصائص الصوتية موضوع الدراسة على النحو التالى:

١ ـ تميم (١٦ خاصية).

٢ ـ أسد، وبعض أسد، وبعض أعراب بنى أسد (١٢ خاصية).

٣ ـ قيس، وبعض قيس (٩ خصائص.

٤ ـ ربيعة، وبعض ربيعة (٣ خصائص).

٥ ـ كلب وبعض كلب (٣ خصائص).

٦ ـ بكر (٣ خصائص).

٧ ـ عقيل ومن جاورهم خاصية واحدة.

٨ ـ بهراء خاصية واحدة.

ومن خلال الدراسة يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التالية:

١ ـ خاصية كسر حروف المضارعة الشائعة فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها تعود إلى التأثر باللغات السامية التى تشيع فيها هذه الظاهرة، وقد بدأ التأثر بقضاعة ـ التى منها بهراء التى تنسب إليها هذه الظاهرة التى تعرف بتلتلة بهراء ـ وذلك لمجاورتها المناطق الكنعانية ومن قضاعة انتشر هذا التأثر إلى باقى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها، كما أن هذه الظاهرة كانت شائعة فى اللغة العربية فى فترة قديمة جداً لأنها

من أخوات اللغات السامية، ودليل ذلك ما تبقى من كسر الهمزة فى إخال.

٢ ـ خاصية تسكين الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية بحذف حركته وما حمل عليه فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها، ليس بسبب كراهية الضمة أو الكسرة بعد الفتحة، أو كراهية توالى الضمتين، وإنما يعود ذلك إلى ظاهرة النبر، حيث إن النبر فى هذه الكلمات التى جميع مقاطعها من النوع الأول القصير المفتوح (ص ح) يقع على المقطع الأول حين نعد المقاطع من آخر الكلمة؛ فكأن وقوع النبر على المقطع الأول أدى إلى حذف حركة الحرف الثانى، كما يمكن ردَّ هذا الحذف كذلك إلى إيثارهم المقاطع المغلقة على المفتوحة.

٣ ـ الأصل فى حركة ضمير الغائبين (هُمْ) الضمة الطويلة (هُمُو) وليست ضمة قصيرة بعدها واو، كما ذهب القدماء، وهذه الميم تسكن وتعود هذه الحركة عند إضافة هذا الضمير إلى ضمير متصل، مثل: أخذتموه وأكلتموه.

٤ ـ الصاد المشمة زاياً فى لهجة قيس تشبه نطق العوام من المصريين صوت الظاء، أى تكون ظاء غير لثوية، وتجمع فى صفتها بين الجهر الذى من خصائص الزاى، والتفخيم الذى من خصائص الصاد.

٥ ـ تمثل الإمالة عند أهل نجد من تميم وقيس وأسد المرحلة التى تسبق مرحلة الفتح الخالص فى العربية الفصحى، وعليها لغة أهل

الحجاز، والإمالة هذه تمثل طوراً من أطوار الصوت المركب حتى وصوله إلى الصورة النهائية وهى الفتح الخالص.

aw > ē > ā

ay > ē > ā

ومما يدل على ذلك شيوعها فى الفعل الأجوف فى اللغة الحبشية، إحدى اللغات السامية التى منها اللغة العربية، فى مثل ቆመ qōma قام و ሤጠ šēṭa باع.

٦ ـ لم يحافظ على الهمزة من القبائل موضوع الدراسة إلا قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، فيقولون فى الأمر من سأل: اسألْ، ولم يقولوا: سَلْ، وقد جاء القرآن على لغتهم، قال تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر﴾ الأعراف/١٦٣ إلى جانب التسهيل فى قوله تعالى: ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ القلم/٤٠.

ويقولون فى يرى الفصحى: يرْأى، وهذه هى الصيغة الأصلية، ويحافضون على الهمزتين من كلمتين، أو يُقحمون ألفاً بينهما(١). وقد جاء القرآن الكريم على لغتهم فى نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة/٦.

٧ ـ ميل قبائل تميم وقيس وأسد وبكر وغيرها إلى الضم فى مقابل الكسر عند أهل الحجاز يمكن رده إلى إيثار هذه القبائل الأصوات التى تحتاج إلى جهد عضلى أكبر، وهذا مما يتناسب مع طبيعتهم

---

(١) هذا هو تعبير القراء ومن شايعهم من النحاة، وإنما هذه الألف حركة طويلة ناشئة عن إطالة حركة الهمزة الأولى كما فى قراءة (آإذا وآإنا) فى قوله تعالى: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أإذا متنا وكنا تراباً أإنا لفى خلقٍ جديد﴾ الرعد/٥.

التى تتسم بالخشونة، إذ الضمة تتكون بتحرك أقصى اللسان، أما الكسرة فتتكون بتحرك أدناه وهذا أيسر، ولذلك تعد الضمة من الأصوات الخلفية، أما الكسرة فمن الأصوات الأمامية.

٨ ـ الأصل فى المبنى للمجهول من قال وباع: قُوِلَ وبُيِعَ[١]، ثم تحول إلى: قِوِلَ وبِيِعَ، بعد أن تماثلت حركة الفاء مع حركة العين (مماثلة رجعية) ثم حذفت الواو والياء لوقوعهما بين حركتين متماثلتين، وبعد الحذف تحولت الحركتان إلى حركة طويلة (آ) قِيلَ وبِيعَ (bīʿa _ qīla).

ولم تنقل حركة الفاء إلى العين، ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما ذهب القدماء.

٩ ـ تُبدل السين صاداً عند بنى كلب، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إذ وقعت قبل (الغين أو الخاء أو القاف أو الطاء) وسبب ذلك لتنسجم وتتجانس مع هذه الأصوات فى صفة الاستعلاء أو التفخيم دون صفة الجهر. كما تبدل السين عندهم زاياً قبل القاف أو الطاء لتنسجم معهما فى صفة الجهر.

١٠ ـ الأصل فى ظاهر الكشكشة، وهى إبدال كاف المؤنث شيناً، أن تكون صوتاً مركباً هو (تْشْ) يبدأ بصوت شديد وينتهى بصوت رخو، والدليل على هذا أن هذه الكاف تنطق هكذا فى معظم لهجات الخليج العربى، وأما ما نراه فى تراثنا منسوباً إلى تميم وغيرها من نحو: أبيش وأبغيشِ، بحذف التاء، والإبقاء على

---

(١) الدليل على هذا الأصل إشمام الكسرة ضمة عند قيس وعقيل ومن جاورهم وأسد دون النطق بالضمة، فكأن هذا الإشمام إشعار بأصل حركة الحرف الأول.

الشين، فسببه يعود إما إلى دقة اللغويين فى تسجيل هذا الصوت، وإما إلى تطوره بحذف الجزء الأول منه، وهذا شبيه بنطق الشوام للجيم الفصيحة بالتعطيش أو بالشين المجهورة، وهو الجزء الثانى من صوت الجيم.

وأصل هذا الإبدال أن يكون فى الكاف المكسورة بسبب قانون الأصوات الحنكية، الذى ينص على أن أصوات أقصى الحنك حينما تحرك بحركة أمامية كالكسرة فإنها تميل إلى تحولها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية، ثم عمم ذلك على كل كاف مضمومة أو مفتوحة، طرداً للباب على وتيرة واحدة.

١١ ـ إذا التقى ضمير الغائبين (هم) بساكن تالٍ له، فإن قبيلة أسد تحرك الميم الساكنة فى هذا الضمير بحركتها الأصلية وهى الضمة القصيرة الناشئة عن الضمة الطويلة الحركة الأصلية، وغيرهم يحركها بالكسر، وذلك تخلصاً من التقاء الساكنين، وعلى لغتهم جاء القرآن الكريم، فى نحو قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة/٩٣. وقوله جل شأنه: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ الرعد/١٨.

١٢ ـ يميل التميميون إلى عدم تقصير حركة الضمير (أنا) وهى الفتحة الطويلة إذا وليها همزة القطع أو الضمير (هو) كما فى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ الأعراف/١٨٨ ولا يخفى ما فى ذلك من مشقة؛ لأن الوصل وما يتطلبه من سرعة فى الكلام، وما يتسم به أهل البادية من سرعة فى النطق، كل هذا كان من المفروض أن يؤدى إلى التقصير، غير أنهم تكلفوا هذه المشقة؛ لأن ذلك مما يتفق مع طبيعتهم التى تتسم بالخشونة، أما غيرهم فمال إلى التقصير.

مراجع البحث

فيما يلى سرد المراجع التى اعتمدت عليها فى هذا البحث:

١ ـ الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين، لسعد عبدالله الغرينى ـ مكتبة الطالب الجامعية ـ الرياض/ السعودية ١٩٨٠.

٢ ـ الأصوات اللغوية، للدكتور/ إبراهيم أنيس ـ مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة ١٩٩٠.

ـ أطلس تاريخ الإسلام، للدكتور/ حسين مؤنس ـ الزهراء للإعلام العربى ـ بدون تاريخ.

٣ ـ بحوث ومقالات فى اللغة، للدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض ١٩٨٢.

٤ ـ التتمة فى التصريف، لابن القبيصىّ (أبى عبدالله محمد بن أبى الوفاء الموصلى) تحقيق الدكتور/ محمد بن سالم العميرى ـ مطبوعات نادى مكة الثقافى الأدبى/ السعودية ١٩٩٣.

٥ ـ التطور النحوى للغة العربية ـ محاضرات ألقاها المستشرق الألمانى/ برجشتراسر، ألقاها فى الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ ـ خرجها الدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٩٧.

٦ ـ الخصائص، لأبى الفتح عثمان بن جنى ـ تحقيق/ محمد على النجار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٩٨٦.

٧ ـ دراسات فى فقه اللغة، الدكتور/ صبحى الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت / لبنان ١٩٦٧.

٨ ـ دروس التصريف، لمحمد محيى الدين عبدالحميد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت/ لبنان ١٩٩٠ .

٩ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبى حيان الأندلسى ـ تحقيق الدكتور/ رجب عثمان محمد ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٩٨ .

١٠ ـ سر صناعة الإعراب، لأبى الفتح عثمان بن جنى ـ تحقيق الدكتور/ حسن هنداوى ـ دار القلم ـ دمشق/ سوريا ١٩٩٣ .

١١ ـ شرح التصريف، للثمانينى (عمر بن ثابت) تحقيق الدكتور/ إبراهيم بن سليمان البعيمى ـ مكتبة الرشد ـ الرياض/ السعودية ١٩٩٩ .

١٢ ـ شرح شافية ابن الحاجب، لرضى الدين الاستربادى (محمد بن الحسن) تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبدالحميد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان ١٩٨٢ .

١٣ ـ شرح مختصر التصريف العِزى، لسعد الدين التفتازانى (مسعود ابن عمر) تحقيق الدكتور/ عبدالعال سالم مكرم ـ دار السلاسل ـ الكويت ١٩٨٣ .

١٤ ـ شرح المفصل، لابن يعيش ـ مكتبة المتنبى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

١٥ ـ شرح الملوكى فى التصريف، لابن يعيش ـ تحقيق الدكتور/ فخر الدين قباوة ـ المكتبة العربية ـ حلب / سوريا ١٩٧٣ .

١٦ ـ علم اللغة العام ـ الأصوات العربية ـ للدكتور/ كمال بشر ـ مكتبة الشباب ـ القاهرة ١٩٩٠ .

١٧ ـ فصول فى فقه العربية، للدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٨٧ .

١٨ ـ فقه اللغات السامية، للمستشرق الألمانى/ كارل بروكلمان ـ ترجمة الدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ جامعة الرياض/ السعودية ١٩٧٧ .

١٩ ـ فى قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية) مع النصوص والمقارنات، للدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٨٣ .

٢٠ ـ فى اللهجات العربية، للدكتور/ إبراهيم أنيس ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٩٠ .

٢١ ـ الكتاب، لسيبويه (أبى بشر عمرو بن قنبر) تحقيق وشرح/ عبدالسلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض ١٩٨٣ .

٢٢ ـ لسان العرب، لابن منظور ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

٢٣ ـ اللهجات العربية الغربية القديمة، تأليف/ تشيم رابين Chaaim Rabin ـ ترجمة الدكتور/ عبدالرحمن أيوب ـ مطبوعات جامعة الكويت ـ نشر دار السلاسل ـ الكويت ١٩٨٦ .

٢٤ ـ اللهجات العربية نشأة وتطوراً، للدكتور/ عبدالغفار حامد هلال ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٩٣ .

٢٥ ـ لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة، لغالب فاضل الطلبى ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد/ العراق ١٩٧٨.

٢٦ ـ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبى الفتح عثمان بن جنى ـ تحقيق/ على النجدى ناصف والدكتور عبدالحليم النجار والدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٩٩٩.

٢٧ ـ مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، تأليف/ سباتينو موسكاتى وادفارد أولندروف وأنطون شبتلر وفلرام فون رودن ـ ترجمة الدكتور/ مهدى المخزومى والدكتور/ عبدالجبار المطلبى ـ عالم الكتب ـ بيروت/ لبنان ١٩٩٣.

٢٨ ـ مدخل فى الصوتيات، للدكتور/ عبدالفتاح إبراهيم ـ دار الجنوب للنشر ـ تونس ـ بدون تاريخ.

٢٩ ـ معانى القرآن، للفراء (أبى زكريا محمد بن زياد) تحقيق/ أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار ـ بدون مكان وتاريخ.

٣٠ ـ معجم القراءات، للدكتور/ عبداللطيف الخطيب ـ دار سعد الدين ـ دمشق/ سوريا ٢٠٠٢.

٣١ ـ مناهج البحث فى اللغة، للدكتور/ تمام حسان ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٩٠.

٣٢ ـ المنصف، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصريف للإمام أبى عثمان المازنى ـ تحقيق/ إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين ـ وزارة المعارف العمومية ـ القاهرة ١٩٥٤.

٣٣ ـ موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، تأليف/ محمد سليمان الطيب ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٩٣.